# لا تحزنى ياغالية

أحمد فريد

الناشر

مطبعة العزازى

إسم الكتاب : لا تحزنى ياغالية

المؤلف : أحمد فريد

سنة النشر : ٢٠١٤ م

رقم الإيداع : ١٣١٠١ / ٢٠١٤

الناشر

مطبعة العزازى

٢٠ ش دمنهور - متفرع من هارون الرشيد
ميدان الجامع - مصر الجديدة
تليفون : ٢٦٣٢٣٦٦٣ فاكس : ٢٦٤٤٢٠٤١

## الإهداء

ما أصعب حياة الذين تعيش الأقدار فى وجدانهم .. فهم أحرار بلا إرادة !!

**أحمد فريد**

## ١

كأنها لحظة ولاده متعثرة، حاول قرص الشمس بصعوبة أن يفلت من رحم الأفق البعيد مخترقاً سحب الشتاء الكثيفه ، التى حالت دون وصول سواعده الدافئة الى سطح الأرض.

كانت الأمطار تهطل بغزارة فتصيب الطيور المغرده بالجزع والخوف بينما تدغدغ أوراق الشجر فوق أغصانها ، لتصبح دون أن تدرى مانحة للسعادة والشقاء فى نفس اللحظة.

كانت عقارب الساعة قد تجاوزت منتصف النهار بقليل.

جلست ريم خلف النافذة الصغيره ذات القضبان الحديدية التى تفصلها عن نهر الطريق الملتصق بجراج البناء السكنى العتيق فى منطقة الزمالك .. الموقع ساحر حيث يحتل المبنى النواصى الأربع ، وكأنه يحتضن الطبيعة بأكملها ويرعاها بجدرانه الأسمنتية ، فكل طوابق العقار تطل على نهر النيل والأشجار الكثيفة التى تكاد تختفى أغصانها تحت أجنحة طائر النورس وغيره من الطيور المهاجرة التى اختارت مستقرها بين الأفرع وفوقها .

وكأنها لحظة توأمة بين ريم وحالة الطبيعة ، فما كانت تراه أمامها بعينيها يحمل نفس الصورة فى وجدانها ، حيث امتزج التفاؤل بالحزن والرضا بالخوف والثقة بالإحباط .

ريم هى ابنة مستأجر الجراج الذى أمضى فيه أكثر من ستين عاماً منذ نزوحه من إحدى قرى الشرقية وهو فى العشرينيات من عمره ، تزوج وأنجب ثلاثة أبناء وكانت هى الشقيقة الصغرى من بين أشقائها ، وبالرغم من أن والدها لم يكن متعلماً بل يكاد يقترب من الامية إلا أنه إتخذ قرارا وبإصرار شديد بأن تصبح ابنته المقربة إلى قلبه دكتوره مثلها مثل أى فتاة تعيش وسط أسرة ميسورة الحال من أصحاب المراكز العليا على حد مفهومه،ولهذا ناضل كثيرا من أجلها ومن أجل تحقيق حلمه الكبير ، وأرسى بفطريته فكرة أن ريم دكتوره لدرجة أن الجميع اعتادوا على أن ينادوها بهذه الصفة خاصة أسرتها وكل ساكنى العقار ورواد الجراج أيضاً من الغرباء وغير الغرباء ، وبدأت ريم تضع أولى خطواتها على طريق الحلم الكبير واستطاعت أن تحصل على مجموع يؤهلها للالتحاق بكلية الطب وهى لا تدرى بأنه تفوقها هذا كان ثمنه غاليا من معاناة والدها الذى لم يدع وسيلة شريفة للاسترزاق إلا وانتهجها ، حيث واصل ليله بنهاره وهو يسابق الزمن ويعاند عافيته ويبتلع حرمانه من أدنى حقوقه فى الحياه الطبيعية من نوم وطعام وملابس ، فكل شىء سخره من أجلها واقتصرت كل المعانى فى إطار ذلك الهدف فقط.

ريم فريد فى السنة الثانية بكلية الطب ، قد حباها الله بجمال هادئ لا ينافسها فيه إلا ليالى ربيع الطبيعة . بشرتها بلون لحظات غروب الشمس وعيناها واسعتان تضمان مقلتين لهما

بريق النجم فى الأفق الصافى وشعرها خصائله ملساء يصعب التحكم فيه أو إخضاعه إلى أى قيود ، وقوامها التزم بكل مقاييس الفتنة والأنوثة ونبرة صوتها دافئة حنونة تجبر كل المنصتين إليها على الاستمرار فى صمتهم لعدة لحظات بعد انتهاء حديثها وكأنهم يستطعمون أحرف كلماتها فى وجدانهم ، تتميز بشخصية قوية بلا تصنع وساعدها على ذلك إصرار والدها على ألا تتعامل بطريقة أو أخرى مع رواد الجراج ، فقد آثر أن يكون لها عالمها الخاص داخل غرفتها الضيقة التى انفردت بها منذ كان عمرها خمس سنوات حتى أصبحت شابة فى أول العشرينيات من عمرها .

لم تكن تدرى أن الليالى تخبئ مفاجأه لها تحمل معها كل التناقضات فى لحظة واحدة ، حيث زفت إليها بشرى تفوقها فى الدراسة وانتقالها للمرحلة الثالثة وفى نفس التوقيت اختطف الموت والدها دون تمهيد .

حصاد السنين التهمته لحظة غادرة مرة واحدة .. لم يخطف الموت والدها فقط بل سحق بعده كل الأمن والأمان ، ودمر فى لحظة حلم العمر الطويل وكشف الغطاء عما كانت تخفيه الاعماق من حولها .. لحظة سامة وقاتلة انشقت عن الزمن الجميل لتنفجر فى وجهها وتحيل حياتها إلى كابوس مظلم يدور فى فلك تلك الحيرة ودوامات الفكر المشتت.

بدأ شقيقاها محمود وسعيد اللذان يكبرانها بعدة سنوات قليلة ينسجان أمامها خيوط الكارثة بمنطق الواقع وعدم قدرتهما على تحمل الأعباء التى كان يضعها والدهما على كاهله ، وأيضا من منطلق بقايا وتراكمة إحساسهما بتميزها عنهما فى كل شيء أثناء حياة أبيها ، كما أتيحت الفرصة لوالدتها لأول مرة فى حياتها أن تعبر عن رأيها الذى قبرته قهرا فى صدرها وهو رفضها لمسألة تعليمها بمنطق أن الفتاه ليس لها إلا منزل زوجها ، ولذلك انضمت بوضوح الى تلميحات الشقيقين بأن الظروف لم تعد تسمح بمواصلة رحلة التعليم وبأن عليها دوراً يجب القيام به لمساندة أخويها ومعاونتهما على مسئوليات الحياة التى تفرضها ظروفهما الاجتماعية والمالية.

كانت تجلس وراء قضبان النافذة تتأمل ثورة الطبيعة التى تسللت دون أن تدرى إلى أعماقها وكأنها تبحث بنظرة عتاب عن والدها الذى تركها ورحل عنها فجأه ، أدركت فى هذه اللحظة فقط أن هذا الرجل الطيب المسالم والهادئ فى طباعه كان فى حقيقة الأمر صرحاً صلداً وقوياً يصد عنها كل ما يعرقل مسيرتها فى الحياه ، أدركت فور رحيله بأنه كان الغطاء الذى يستر لياليها والحلم لكل أمانيها والكلمات التى كانت تردد معانيها .

همست إلى نفسها تناديه:

.. أين أنت يا أبى؟!

.. ليت كان فى قدرتك أن تأخذنى معك!

.. كيف سأواجه حياتى من بعدك؟

.. لماذا تركتنى أنا وأخذت معك الأمل والأمان والحلم والحنان؟!!

.. أين أنت يا أبى؟!

و .. انسابت دموعها دون إرادتها وكأنها أيضا قررت الرحيل من بين جفنيها لتبحث عن ذلك الغائب بالرغم من علمها بأن من المستحيل أن يعود .

و .. انتبهت لصوت الضوضاء على غير العادة أثر دخول عدة سيارات أجرة متتابعة إلى داخل الجراج ، واربت باب غرفتها قليلاً لتتمكن من رؤية القادمين لتتأكد لحظتها أنهم من عائلتها التى تضم الخال وزوجته وولده والعم وابنته وابن العم وزوجته وبعض الصبية والأطفال وآخرين غرباء لم ترهم من قبل ، واندفعت والدتها برفقة أشقائها للترحيب بالقادمين بكل عبارات الامتنان والفرحة .. وفوجئت بأمها تناديها بصوت عال قائلة :

ـ يا ريم .. يا ريم تعالى إلى هنا .. عمك وخالك قد حضرا من البلد

لم تسمح الغرف الصغيرة التى تقيم فيها العائلية بإستيعاب ذلك الحشد القادم دون مقدمات ، مما دفع الأخوين إلى أن يخرجا كل

المقاعد التى بالداخل والاستعانة بالكنبة الخشبيه وبعض الوسائد الإسفنجية حتى يتمكن الجميع من الجلوس فى شكل دائرى عند نهاية ممر الجراج.

وبمجرد ظهور ريم حتى تعددت عبارات الترحيب من الجميع خاصة من زوجة خالها التى فاجأتها قائلة:

.. أهلا .. أهلا بعروستنا الجميلة.

لم تتوقف ريم عند تلك العباره كثيرا وواصلت مصافحة الجميع فرداً بعد الآخر الى أن واجهت شابا غريبا عن المجموعة فبادرها العم مردداً:

الأستاذ قنديل مدرس العلوم فى مدرسة (الأمل)الاعدادية.

و.. راح يعدد محاسن الأستاذ قنديل لكونه مثقفا ومهذبا ومن أكبر عائلات الشرقية ، بالاضافة إلى أنه عائد بعد رحلة غربة من الإمارات حيث قضى فيها أكثر من خمس سنوات .. ثم أردف بفخر شديد.

.. ولديه سيارة واسعة .. موجودة عند الميكانيكى لإجراء بعض التصليحات فيها.

رمقته ريم بنظرة سريعه غير مبالية ، ولكنها كانت كافية لتلتقط صورة ملابسه المزركشة وربطة عنقه التى تدلت إلى ما بعد

خصره ، ثم اتخذت مكانها بجوار زوجة عمها التى ما لبثت أن تبادرها بهمس هى الأخرى قائلة:

ـ كيف حالك يا عروسة ؟

هنا شعرت ريم بأن فى الأمر شيئاً غير طبيعى خاصة أن أحداً منهم لم ينادها بالدكتوره كما اعتادت منهم سابقاً ، وبالرغم من ذلك حاولت جاهدة أن تخفى قلقها وشاركتهم فى أحاديثهم الخاصة والعامة وهى تتعمد بإلا تلتقى نظراتها بذلك المدرس العائد من الغربة.

وبعد مرور ساعة تقريبا وقف الخال وهو يتوجه بكلماته لوالدتها قائلا :

ـ تعالى دقيقة يا أم محمود .. أريدك فى حديث خاص.

تبعته أم محمود إلى داخل إحدى الغرف حيث بادرها متسائلاً :

ـ ما رأيك فى الأستاذ قنديل يا أختى ؟!

أجابت مسرعة:

ـ شاب مثل الورد.. ويبدو عليه ابن ناس ومتعلم.

ضحك الخال متهكماً:

ـ قلت لك إنه مدرس إعدادى .. فكيف يكون غير متعلم يا أم محمود؟!

سألت بدهاء وكأنها تعلم ماذا يريد:

ـ ما هو الحديث الخاص الذى تريدنى من أجله!!

ـ الموضوع يخص ريم.

قالت بفرحة:

ـ ريم ابنتى .. تقصد إنه.

قاطعها بحماس قائلا:

ـ نعم .. أنا لن أجد زوجا مناسباً لريم ابنة أختى أفضل من الأستاذ قنديل ..و..

صمت برهة ثم استطرد:

ـ غنى .. ومتعلم .. ومؤدب.. ومن عائلة .. ومستعد لكل التكاليف والمصروفات وأيضاً عنده استعداد لدفع مهر كبير لبنتك.

رددت باستكانه:

ـ والله يا أخى الأعباء أصبحت ثقيلة على محمود وسعيد .. وأنا كبرت فى العمر وأمنيتى أن أطمئن عليها وهى فى منزل الزوجية..لكن..

ومرة ثانية يسارع مقاطعاً:

ـ لكن ماذا .. الله يسامحه عم فريد الذى أراد أن يرتدى عباءة ليست على مقاسه ، وضيّع أمواله ومجهوده على فكرة سخيفة ثم ترككم تعانون الفقر والاحتياج.

همست باستحياء:

ـ الله يرحمه.. لا تجوز عليه غير الرحمة الآن.

قال بجدية:

ـ قيراطين الأرض ميراثك يمكنك البناء عليهم بقيمة المهر ويصبح عندك منزل تكملين فيه باقى حياتك فى بلدتك بدلا من عيشة القبور التى تعيشينها هنا .

ـ عندك كل الحق يا أخى .. فأنا امرأة مسنة ومريضة والمكان أصبح غير مضمون بعد موت زوجى .. والأولاد كبروا ومن حقهم الزواج وسأصبح عالة عليهم مع مرور الوقت.

قال بإنزعاج :

- والله لن يحدث أبدا .. فأنتِ أختنا الكبرى ولن أسمح بأن تتبهدلى بعد هذا العمر الطويل.. المهم اسألى ريم عن رأيها وطلباتها فهذا من حقها ، ثم حددى الميعاد لكى تحضر عائلته وتطلبها منك ومن محمود وسعيد.

قالت بامتنان:

- ربنا يخليك لى يا أخى .. ولن أنسى فضلك أبداً.

ربت على كتفها باعتزاز وهو يقول:

- ريم مثل ابنتى تماماً.

و .. رحل الجميع عن المكان بعد أن تمت المهمة التى حضروا من أجلها.

بدت تلك الزياره المفاجئة او المشئومة بالنسبة لريم هى بداية لأول قطرة مرارة تتذوقها فى حلقها وأول معلومة عن معنى العذاب عندما يسقط على حين غرة فوق كيان إنسان ويحتويه بقسوة ويشل إرادته رغماً عنه .. هكذا شعرت ريم بعد ذلك الموقف ، حيث انتابها إحساس بالضياع والتشتت ، وسكنت عاجزة أمام الهجمات الكلامية الشرسة التى حاصرتها من أفراد عائلتها وكأنها لازالت تعيش حالة الوهم بأن هناك من سينوب عنها فى الدفاع أو التصدى لذلك الهجوم غير المبرر والفجائى.

وفى مساء ذات الزيارة، وجدت نفسها محاطة بالمثلث العائلى الذى تترأسه والدتها على غير المتوقع .. وبادرتها قائلة فى محاولة لإقناعها برغبة الخال :

- يا ابنتى الحال أصبح غير الحال .. وما باليد حيله .. وأبوك الله يرحمه لم يعمل حساب هذا اليوم .. ورحل فجأة وتركنا بلا مورد.

قالت بنبره مليئة بالاستعطاف:

- يا أمى أنا نجحت هذا العام ومتفوقه فى دراستى .. و .. مضى الكثير ولم يبق غير ...

ولكن محمود يتدخل وهو يكتم غيظه:

- أنتِ صدقتِ نفسك يا ريم أم ماذا .. أليس لك عينان تريان بها حقيقة ظروفنا .. انظرى لى ولأخوك سعيد ونحن حفاة طوال اليوم لدرجة أن أقدامنا تشققت من المياه المتسخة من تنظيف سيارات البهوات وسيدات المجتمع .. استيقظى من أحلامك التافهة والمجنونة وعيشى الواقع الحقيقى.

وقبل أن تعلق على كلامه، أسرع شقيقها الآخر.. مؤيداً :

- ألا تعلمين أن رزقنا يوما بيوم . . فمن أين سنأتى لك بكل مصاريفك .. فمن الأفضل أن تضعى عقلك فى رأسك وإلا سيكون لنا معك تصرف آخر..و ..

وتبادلا نظرة صامتة ولكنها مثيرة، فهى تعلم جيدا أن سعيد يمتلك طاقة شريرة لطالما أزعجت والدها كثيرا طوال فترة حياته معه .

عادت الأم تردد بإلحاح:

ـ ما رأيك فيما نقوله لك .. يا ابنتى هذه فرصة قد لا تتعوض ، فالعريس جاهز تماما ومستعد لتلبية كل طلباتك .. وكما قال خالك هى فرصه لكى أستطيع بناء القراطين وأعود للبلد واستكمل ما تبقى من عمرى .. ألا تشفقين على مرضى !!

ومرة ثانية قبل ان ترد على أمها فوجئت بمحمود يلاحقها قائلا :

نحن نعلم أن أباك قد زرع فى قلبك الانانية وحبك لنفسك فقط ، والدليل على ذلك أنك استحوذتِ على كل شئ ولم يكن يهمك ماذا نأكل او ماذا نلبس او أى شيء آخر .. فأنت اخذتِ حقك من الحياه أكثر من اللازم.. و ..

تدخل سعيد فى الحديث قائلا بحزم:

ـ على كل حال سنمهلك أسبوعاً .. أسبوع واحد تتخذين فيه قرارك .. وبعدها سيكون لنا تصرف معك .

أجابت بشفتين مرتجفتين وتمتمت على استحياء :

ـ سأبحث عن وظيفه مسائية وأعاونكم.

انتفض سعيد فجأه وكأنه يتأهب لضربها .. ثم صاح صارخا :

ـ ما هذه البلادة التى تسيطر عليك .. أنا واخوك نريد أن نتزوج والمكان لم يعد يتسع لنا جميعا .. ومن الطبيعى أنك سوف ترحلين إلى بيت زوجك.

وبنبرة هادئة قال محمود وكأنه يحدث نفسه:

ـ الله أعلم .. فربما صاحب العقار لن يجدد لنا إيجار الجراج بعد وفاة والدنا .. وتلك مأساة اخرى.

دوت كلمات سعيد فى أذنيها كصدى البرق وهو يردد :

ـ أسبوع واحد يا ريم وهى المهلة التى حددناها لخالك لكى نخبره برأينا .. وأنت حرة فلن تلومى إلا نفسك بعد ذلك.

و .. غادر الجميع غرفتها .

تلفتت حولها وكأنها تتأكد بأنها لازالت فى حجرتها وليست كما شعرت فى أعماقها بأنها تهيم فى صحراء ليس لها نهاية فى ليلة مظلمة قد غاب عنها القمر .. لا شىء غير الخواء وحشرجة الخوف من المجهول .

أحست بمستقبلها وهو يتسلل متهاوياً من بين أصابع الزمن ، والآمال تترنح تحت وطأه غدر الليالى ، والوحدة الموحشة تمزق

أوصال ذكرياتها ولا تترك لها غير رماد الحاضر الكئيب ونذير شؤم المستقبل.

طفرت إلى داخل مقلتيها صورة أبيها ، وفقدت قدرتها على التماسك وأجهشت بالبكاء فى نحيب كاد يمزق جفونها وهى تردد بحسرة وبنبرة مسموعة.

.. أين أنت يا أبى؟!

وألقت برأسها فوق الوسادة وهى تواصل بكاءها وكأنها تستجديه لعله يعود إليها لكى يحميها من أقرب الأقربين لها .. وله.

## ٢

عندما تتكالب المظالم على الإنسان ، وتتحول ضلوعة إلى قضبان من الفولاذ تخنق رئتيه وتحاصرها ، وعندما يتعمق الإحساس بالوحدة فى الوجدان ويستقوى الخوف والقهر على الأبدان ، ويموت الأمل ويرحل الأمان وتصبح الكلمات بلا معنى والأعين لا ترى غير المدامع والأحزان وتكتئب الطموحات والسعادة تهجر المكان. وعندما يتوحش الإحساس بالعجز ويغرس مخالبه فى الأعماق ليفقد الكيان هويته ويسلب من العقول تفكيرها وقدرتها على إتخاذ أى قرار .

فى هذه الحالة يجد الإنسان نفسه مضطرا لأن يبحث عمن ينوب عنه لمواجهة غزوات الشر وغدر الليالى .

ولم يكن أمام ريم غير اثنين فقط يمكنها الاستعانه بهما او بأحدهما ليجيرها ويستمع لشكواها ، فكان الاقرب هو الروائى الشهير عمرو كامل الذى يشغل الطابق الثالث فى العقار الذى تعيش فى أسفله ، وهو الوحيد الذى كان يحتل مكانة خاصة عند والدها وثقته أيضا ، ولذلك لم يكن يمانع فى أن يطلب منها أن تداوم على مساعدة الرجل لتناول دوائه وبالاخص الحقنة الاسبوعية بالرغم من أنه يعيش بمفرده ولا تلازمه غير الشائعات الكثيرة عن علاقاته النسائية المتعددة وزيجاته المتكررة التى أثمرت أن ثلاثة أبناء جميعهم رحلوا عن المكان بأسباب مختلفه فمنهم من استقل بحياته الخاصه بعد الزواج

ومنهم من هاجر إلى أوربا ولكنهم جميعاً اشتركوا فى عدم إحساسهم بالانتماء نحوه ، فكان قلمه هو الرفيق الصديق الصدوق ومؤلفاته هى اسرته الواقعيه التى يأتنس بوجودها حوله.

أما الثانى فهو أكرم صدقى زميل المهنة المستقبلية حيث كان فى السنة النهائية بطب الأسنان وبالرغم من تفاوت التخصص واختلاف المرحلة الدراسية إلا أنهما كانا متوائمين فى كل شيء سواء فى الأفكار أو تشابه الظروف الاجتماعية أو الطموحات والأحلام البكر الشابة . هو من اسرة متواضعة ماليا بالرغم من أن والده يعمل فى منصب وكيل إحدى الوزارات إلا انه بسبب كثرة الأبناء جعل راتبه يكاد يكفى الاحتياجات الضرورية فقط ، تلك الظروف المتشابهه جعلت من علاقتهما اشبه بعلاقة الحالم بحلمه اثناء النوم ،فهو ارتباط قوى يصل لدرجة التوحد وبالرغم من ذلك هو بعيد كل البعد عن أرض الواقع .

علاقة فريدة من نوعها ، فهما يتحاوران كثيرا ويلتقيان أكثر فى لقاءات متعددة وكلاهما يبث للآخر أسرار مشاكله وهمومه وأحلامه وآماله .. ولكنهما يمتنعان عن غير عمد الكشف عما يشعران به فى وجدان كل منهما تجاه الآخر .

وفى ظهيرة اليوم الثانى أثناء انصرافها من باب الكلية وجدته فى انتظارها كعادته معها ، وقال مرددا بلهفة:

ـ أهلا يا دكتورة.

اهتزت شفتاها فى محاولة لرسم ابتسامة ولكنها فشلت .. عاد متسائلاً:

ـ ماذا بك يا دكتورة ريم .. أراك اليوم على غير عادتك.

وكأنها كانت تنتظر تساؤله هذا حتى بدأت فى سرد مشكلتها بلا مقدمات ودون توقف اعتمادا على أنه يعلم كل شىء عن ظروفها الاجتماعية ، وقبل أن تنتهى من حديثها إليه .لاحظت اكتئاب ملامحه وشرود نظرته وهو ما أفسح الطريق إلى خاطر مفاجئ إلى ذهنها بأن اللحظة التى كانت تنتظرها قد حانت وسوف يفصح عما فى اعماقه ومشاعره تجاهها .. فآثرت الصمت حتى تمكنه من ذلك .

وعلى غير المتوقع قال بنبرة حزينة وهو ينظر الى لا شىء :

ـ يجب أن نعترف بأننا أخطأنا .. وعلينا أن نتحمل نتيجة ذلك !!

همست متسائله بنبرة منخفضة:

ـ أخطأنا .. كيف؟!!

لم يكترث لتساؤلها ، وأردف قائلاً دون أن ينظر إليها:

ـ بدأت أشعر بالندم لأننى تخصصت فى طب الأسنان .. لم أقدر ظروفى جيداً .. طب الأسنان محتاج الى عيادة باهظة التكاليف ،

وكان بإمكانى أن أتخصص فى مجال آخر لا يعتمد على المعدات المستوردة والمكلفة أيضا.. و ..

رمقها بنظرة خاطفة.. ثم استطرد على استحياء:

ـ وانتِ  استسلمتى لحلم أبيك .. وتعايشت مع الوهم الجميل دون أن تفكرى فى أى احتمالات أخرى .. كما حدث لك اليوم .

شعرت بجفاف حلقها وهى تحاول أن تلملم شتات أحرف الكلمات على شفتيها .. ثم قالت وهى تغوص فى دهشتها:

ـ لم أتوقع منك كل هذا الإحباط.

قال بعد أن تدلت ابتسامة ساخرة على طرف شفتيه:

ـ واقعنا هو مصدر الإحباط ولست أنا .. انظرى إلى حالى الآن فبعد أشهر قليلة سأصبح طبيباً معتمداً .. فماذا تتوقعين أن يكون مصيرى .. بكل تأكيد سأنضم لحشد الأطباء الذين يملأون المستشفيات العامة براتب لن يتجاوز بأى حال قيمة إجمالى الدخان الذى ينفثه أى ثرى من سجائره.

قالت بحماس بعد أن تناست مشكلتها الرئيسية:

ـ لو فكر كل إنسان فى مقتبل حياته بهذه الطريقة فلن يحقق شيئاً من أحلامه ولا ..

قاطعها وهو لا يزال متهكما :

ـ كل من يريد أن يحلم ، عليه أولاً استئذان واقعه.

تساءلت بإصرار :

ـ منذ متى وأنت مقتنع بهذا الرأى ؟!

أجاب بلا تردد:

ـ مشكلتك فجرت بداخلى كل المحاذير التى حاولت مراراً أن أتجاوزها .. لأسباب شخصية عندى.

وكأنها تذكرت مشكلتها بالفعل .. رددت كالهمس:

ـ أنا لن أستسلم لظروفى القاسية.. ولن أدع الإحباط يحتوينى .

عادت الابتسامة الساخرة تظهر فوق شفتيه وهو يعلق قائلا:

ـ تقولين ذلك لانك لازلتِ فى بداية الطريق .. ولم تواجهى واقعك على حقيقته ... يا دكتورة ريم اعلمى أن الصراع غير متكافئ ، بالنسبه لك أنت بشكل خاص.

راودتها رغبة شديده فى الانصراف من أمامه .. وما كادت تتحرك بخطوة إلا إنها تراجعت فجأه وسألته بجرأه:

ـ يا ترى .. هل من حقى أن أعلم شيئأ عن الأسباب الشخصية التى حدثتنى عنها منذ لحظة.

تردد برهة قبل أن يجيبها قائلا:

- انتِ !!

- أنا !!

- نعم انتِ ... ظروفك السابقة وإصرارك على تحقيق حلمك كان يملؤنى بالأمل ويمنحنى القدرة على التفاؤل .. و ..

صمت للحظة يزدرد فيها ريقه بصعوبة .. ثم أردف :

- ولكن .. ولكن بعد هذه الأحداث التى استجدت على حياتك فكانت سبباً فى أن تكشف الغطاء عن صعوبة التصدى لها.

قالت وهى تشعر بخيبة التمنى:

- يبدو أننى كنت حالمة أكثر من اللازم بالنسبة للأسباب الشخصية الخاصة بى.

رمقها بنظرة بلهاء تعبيراً عن عدم فهمه لمقصدها .. ثم قال دون مبالاة:

- دعينا نترك فرصة للأيام لتقول كلمتها.

- الحقيقة .. أننا جميعاً فى حاجة لتلك الفرصة .. و ..

أومأت برأسها وانصرفت من أمامه فى صمت .

لم يتسلل الضيق إلى صدر ريم بعد ذلك اللقاء ، بقدر ما انتابها إحساس بالرضا وهدوء النفس . وكأنها كانت تعانى من هلامية

العلاقة التى ارتبطت بها مع أكرم صدقى ، وقد حسم هذا اللقاء مضمون العلاقة أو على أقل تقدير أعفاها من مشوار آخر كانت ستقطعه على ارض الوهم والأحلام الزائفة ، وبالرغم من ذلك لم تستطع تجاوز شعورها بالتأنيب لتلك النتيجة أمام ظروفها القاهرة التى فاجأته بها مما افقده القدرة على التعامل مع الموقف بما يتناسب مع طبيعة علاقتهما.

اندست داخل السيارة الميكروباص بعد أن ألقت بالبالطو الأبيض فوق كتفها كعادتها فى الذهاب والإياب من الكلية ، وكأنها تحرص على الاحتماء به دائماً بالرغم من عدم جدواه فى كثير من أيام الدراسة داخل الكلية.

لم يمض أكثر من نصف ساعة للوصول إلى منطقتها ، ولكنها قطعت فى هذه الفترة الزمنية القليلة رحلة طويلة مع تساؤلاتها الحائرة عن مصير مستقبلها الذى فقدت كل مقومات حمايته أو التخطيط له شأنها شأن كل عليل يسقط فريسة فى قبضة الداء الذى بلا دواء .

لاحظت عدم وجود أحد من أسرتها داخل الجراج وهى فى طريقها إلى غرفتها وما كادت تفتح بابها حتى تشنجت كل خلجات كيانها عندما ترامى الى مسمعها أصوات هامسة من الداخل .. حاولت أن تدفع الباب ولكنها فشلت حيث كان مغلقاً على غير العادة ، فلا أحد يمكنه استغلال غرفتها حسب تعليمات والدها طوال حياته.

تلفتت حولها فى ذهول لعدة لحظات ، ثم بدأت تطرق الباب بعنف وهى تردد صائحة:

ـ من بالداخل.. من بالداخل.

وجاءها صوت سعيد ناهراً ومنفرداً أيضاً:

ـ ما الذى أتى بك مبكراً .. اذهبى الآن والإ خرجت إليك لأحطم ضلوعك.

صرخت:

ـ ماذا تفعل .. ومن معك؟!

ـ قلت لك اذهبى الآن .. ادخلى غرفة أمك.

هاجمت القشعريره جسدها وكأنها أصيبت بالملاريا فجأه وأصبحت عاجزة حتى عن الكلام والحركة .. عادت تتلفت بلا تركيز بعد أن خارت قواها الذهنية.. وبصعوبه بالغة تراجعت بخطواتها فى اتجاه نهاية الممر حيث توجد باقى الغرف.

وفى الداخل لم تجد والدتها ، ولاحظت وجود شقيقها الأكبر محمود وهو يغط فى نوم عميق كعادته صباحاً حيث كانت مسئوليته هى الورديه الليليه لحراسة الجراج.

أيقظته بانفعال وهى تصيح:

ـ أين أمى يا محمود ؟!

أجاب وهو يتثاءب:

ـ أمك أوصلتها منذ ساعتين الى موقف سيارات الاجرة لتسافر الى البلد فى زيارة لخالك .

عادت تقول بثورتها:

ـ ماذا يفعل سعيد فى غرفتى ؟!

اعتدل قليلاً فى جلسته ثم تساءل بفتور:

ـ وماذا يفعل سعيد فى غرفتك؟!!

ـ انهض لترى بنفسك.

فوجئا وهما متجهان الى غرفتها بانصراف سعيد برفقة فتاة صغيرة يعرفانها جيدا حيث تعمل فى إحدى شقق العقار ، وبلا إراده اندفعت ريم مسرعة نحوه وهى تصرخ بصورة هستيرية تكيل له السباب والتوبيخ على فعلته ، بينما أسرعت الفتاه هاربة إلى خارج الجراج ، فى الوقت الذى تأهب أخوها الشرس لمواجهة ذلك الموقف المخزى مستعينا بملامح الغضب والثورة على وجهه كأى مكابر دفاعاً عن خطيئته.

بادره محمود بعد أن استوعب المفاجأه :

ـ كيف تقدم على هذا الفعل يا سعيد؟!!

أجابه وهو ينظر اليها شذراً:

ـ ليس من حق أحد التدخل فى حياتى.

لاحقته وهى فى أشد غيظها :

ـ انت سافل وفاسد .. و ..

ولم تستطع ان تكمل كلماتها بعد أن فاجأها سعيد بالتهجم عليها وصفعها بقوه على وجهها ، فترنحت على إثرها من شدة الصفعة وسقطت على الأرض بالرغم من محاولة محمود الفاشلة لإنقاذها.

وكالثور الجريح الهائج استدار سعيد الى داخل غرفتها وراح بكل حماقة وجهل يمزق كتبها ومراجعها وهو فى حالة أشبه بالجنون ويلقى بالاوراق الممزقه إلى الخارج وهو يصرخ مردداً:

ـ لقد أفسدتك تلك الكتب وجعلتك لا تحترمين أخاك الاكبر .

و .. توالى سقوطها على الأرض مع كل محاولة لمنعه من تمزيق كتبها وهو فى كل مرة يدفعها ويلكمها بشراسة بلا وعى ، إلى ان سقطت ولم تستطع النهوض مرة أخرى بعد ان أعياها الضرب المبرح.

ومره ثانية يتدخل محمود صائحاً:

ـ ما الذى فعلته يا مجنون!!

أجابه وهو يلهث كالذئب:

ـ قلت لك إن هذه الكتب قد افسدتها.

فوجئت ريم وهى طريحة الأرض بأخيها الأكبر يقول معاتباً:

ـ الكتب ليست مهمة .. ولكن كيف تضربها يا أرعن؟!

فى هذه الأثناء دارت الدنيا فى رأس وعين ريم بعدما تأكدت بأن مستقبلها قد تم إجهاضه بمعول الجهل والحقد .. والغباء .

وفى لحظه رأفه غير مقنعه ، طلب محمود من أخيه أن يعاونه فى حملها لكى يضعاها فوق فراشها داخل الغرفة ، وتركاها منصرفين وهى فاقدة القدرة ولكنها ليست غائبة الوعى .

دارت بنظرها ترصد الأوراق الممزقة والمتناثرة فى أرجاء الغرفة وأحست بأنها تستصرخها بلا جدوى .. فكلتاهما بلا مغيث.

## ٣

فى اللحظات الأخيرة من رحيل شمس اليوم الثانى ، كانت الأمطار تهطل بغزارة وهى تحمل ذرات ثلجية مدببة كأسنة الرماح تتراشق على الوجوه والجدران وسطح الأرض وكل كائن يفشل فى محاولته لأن يتفادى تلاطمها.

تسللت ريم مسرعة من غرفتها إلى الطريق العام وهى تخفى وجهها من شدة الرياح وأندلفت إلى داخل باب العقار الذى يقبع أسفلة الجراج ، دون أن تدرى هل كانت تخفى وجهها خشية الأمطار الثلجية أم تجنبا من أن يراها أحد وهى تصعد إلى الطابق الثالث حيث يقيم الروائى عمرو كامل بمفرده.

وبيد مبتلة ومرتجفة طرقت بابه بطرقات مترددة .. وبعد ثوان كالدهر ظهر عمرو كامل وهو متأنق كعادته حيث كان متأهباً دائماً لاستقبال زائرى السهرات الليلية المقربين .. والمغرمين أيضاً.

استقبلها ببشاشة قائلا :

ـ دكتورة ريم .. أهلاً بك .. تفضلى يا ملاك الرحمة.

دخلت على استحياء ، فهى المرة الأولى التى تأتى إليه بمفردها دون متابعة والدها وأيضاً فى هذا التوقيت المتأخر من نهاية اليوم .

ولم يكن عسيراً عليه أن يدرك سبب توترها وما يدور فى أعماقها من انفعالات ورهبة .. وبادرها مازحاً ومعاتباً:

ـ أهكذا تتركين مريضك يتألم وحده دون أن تنقذيه بالدواء؟

حاولت أن تبتسم ولكن شفتيها ارتعشت فقط وهى صامتة .. فأردف :

ـ أتعلمين أنه منذ رحيل والدك رحمة الله عليه .. لم أسمح لأحد غيرك أن يداوينى بالحقنة.

قالت بصعوبة وبنبرة خافتة:

ـ أنا آسفة.

أشار إليها بالجلوس فى أحد أركان صالونه الفاخر ، وازداد توترها عندما لاحظت تواجد بعض زجاجات الخمر والمأكولات الجافة فوق المائدة التى تتوسط الصالون وأيضاً الاضاءة الخافتة ألجمت لسانها وتفكيرها واكتفت بإسقاط نظرتها فى اتجاه الأرض دون أن تنبس بحرف واحد.

تأملها لعدة لحظات ثم قال وهو يشعل سيجارته :

ـ ماذا بك يا ريم ؟!

رفعت رأسها ليفاجأ بعينيها وقد اعزورقت بالدموع الحبيسة .. ثم همهمت بنبرة متحشرجة:

ـ أنا فى حاجة إلى مشورتك يا أستاذ عمرو.

قال بلا تردد:

ـ أ خبرينى بما عندك .. ولا تخفى شيئاً.

ومن خلال دقائق مشحونة بالشجن والحسرة ،راحت تسرد عليه التطورات الجديده التى طرأت على حياتها ، وأفصحت عن عجزها التام أمام ذلك الموقف وكأنها تلقى بكل همومها بين راحتيه .. و .. سكتت فجأه وهى تترقب حركة شفتيه فى انتظار قراره أو إقرار مصيرها.

عمرو كامل فى الخامسة والخمسين من عمره ، ساعده تكوينه الجسمانى الفارع وملامحه المريحة وهدوء طباعه وعيناه المتأملتان وصوته الرخيم فأصبح يمتلك كل مقومات الهيبة والوقار الذى يفرضه على الآخرين دون تعمد ، واستطاع بخبراته الاجتماعية الطويلة وعلاقاته المتعددة وموهبته الابداعية أن يتعامل بحنكة وواقعية مع أموره الحياتية سواء مع أبنائه الثلاثة اللامنتمين إليه أو مع وحدته وكذلك مناورات الأقدار معه.

تلألأت ابتسامة رائعة فوق شفتيه ، وقال على غير المتوقع :

ـ وما الجديد فى هذا يا ريم ؟!

رمقته بنظرة مندهشة وظلت على صمتها .. وعاد مستطرداً:

ـ اتعلمين بأن لا أحد من أبنائى قرأ لى رواية واحدة بالرغم من كل هذه الإصدارات التى نشرتها!!

قالت بعفوية متسائله:

ـ كيف .. فأنا قد ....

ولكنه قاطعها دون قصد وأردف:

ـ وهل تعلمين أيضاً أنهم كالغرباء فى علاقاتهم بعضهم ببعض ولا شىء سوف يجمعهم معا إلا إعلام الوراثه من بعدى !!

أجابت بإصرار وصدق:

ـ أنا قرأت كل رواياتك .

تسلل إلى صدره إحساس قوى بالتعاطف معها إزاء براءتها ونقائها.

ثم قال وقد انفرجت أسارير وجهه :

ـ أشكرك على اهتمامك.

اشتعلت وجنتاها خجلا بعد أن راودها شعور بأنها ربما تكون قد أخطأت فى التعبير عما تقصده .. وقالت بعفوية:

ـ أنا آسفه .. ولكنى فقط أتعجب من موقف أبناء حضرتك.

افترشت ملامح الجدية وجهه وهو يقول:

- أنا تعمدت أن أحدثك عن أبنائى حتى أوضح لك بعض خصائص النفس البشرية اذا ما أتيحت الظروف أمامها لكى تكشف عن خصالها .. فالتميز أو الثراء أو الشهرة والمكانة العلميه أو الرضا والقبول أو النجاح بكل أشكاله من الطبيعى أن يثير أغوار نفوس الآخرين وبتلقائية ودون تعمد تطفر على ساحة العلاقات الاجتماعية بين الجميع بعض المشاعر الكامنه فى الأعماق كالغيرة والحسد والتمرد والتذمر من الواقع والسخط عليه وكلها اسلحة معنوية فتاكة لا تدمر إلا اصحابها ، ولذلك لا سبيل لمواجهتها إلا بالحب والتسامح والرضا وتقدير ظروف الآخرين .

و .. أشار إليها باصبعه وهو يؤكد قائلا:

- وهذا بالضبط ما أطالبك بأن تفعليه مع أخويك .. فهما لديهما بعض الحق فيما يفعلانه .. والدك عم فريد سخّر كل إمكاناته ومشاعره من أجل تحقيق حلم حياته بأن تصبحى دكتورة .. ولكنه لم ينتبه بأنه قد ترك لك ميراثاً مريراً من الغضب والحنق عليك.

فى هذه الآونه لم تستطع ريم التحكم فى انهمار الدمع من عينيها وهى لا تدرى إن كانت مدامعها من اجل إحساسها بالخوف من الغد أم شوقاً وحسرة على فراق أبيها.

عاد فى محاوله لتهدئتها قائلاً:

- أرجو أن تتأكدى بأننى لن أتركك بمفردك أبداً .. وسأساندك بكل طاقتى فى أى قرار تتخذينه .. ولكن بشرط .. و ..

واتسعت عيناها وتأملته باهتمام شديد .. ثم همست بسرعة :

- أى شرط .. أنا موافقة دون أن أعرفه؟!!

أجاب بهدوء:

- شرطى أن تكونى مقتنعة بأى قرار تتخذينه دون أى ضغوط عليك .

سيطر الغموض عليها مما جعلها تكرر تساؤلها من جديد:

- عن أى قرار حضرتك تقصد؟!

نهض من مكانه واستدار ليقف فى مواجهتها على بعد عدة خطوات ، وكأنه يتأهب لإلقاء خطاب رسمى .. ثم قال بجدية:

- أنتِ تملكين مقومات كبيرة لا تتوافر فى فتيات كثيرات مثلك .. فأنتِ جميلة بل غاية فى الجمال ، وإذا أردتِ الثراء والحياة الرغدة فيمكنك الحصول عليها فوراً .. بل الآن ..و..

صمت لبرهة وهو يدقق إليها النظر .. ثم عاد مستطرداً:

- والخيار الثانى أن تتخذى قرار التحدى وتعلنين مقاومتك للواقع مهما كان المقابل من بعض الشقاء والعناء .. فأنا بإمكانى أن أوفر لك عملاً مناسبا يتيح لك فرصة الاستمرار فى دراستك ولكنك بلا شك ستواجهين رحلة شاقة من الصعب التكهن بنتائجها .. والأمر فى النهاية لك يا عروسة النيل.

فجأة دوى رنين جرس الباب بشكل متصل مع عدة طرقات متوالية وكادت نبضات قلب ريم أن تتوقف هلعاً دون أن تدرى سبباً لذلك .. واتجه عمرو كامل بخطى مسرعة وفتح الباب لتندفع الى إلداخل مجموعة من اصدقائه المتباينين فى الأعمار والمهن والأشكال ما بين رجال وشباب وفتيات صغيرات وفنانات معروفات .. الجميع راح يطلق تعليقاته المازحة والساخرة ، والبعض انقض على المشروبات الروحية والمشهيات:

.. الأديب فى جلسة خاصة مع ملهمته.

.. من أجل هذا لم تهتم بالرد على اتصالاتنا.

.. عنده حق .. فهو جالس مع فينوس الجمال.

ويعلق آخر :

.. بل هى موناليزا الحقيقية.

وثالث يقول:

.. إنها عروس من السماء .

وبخبث قالت الفنانه الشهيرة:

..إنها رواية جديدة يا أستاذ عمرو.

بينما سكن هو فى مكانه صامتا يستقبل تعليقاتهم بابتسامة تارة وبامتعاض تارة أخرى ، وريم شعرت وكأنها قد أصيبت بشلل مفاجئ أفقدها القدرة على التحرك من مكانها أو مشاركتهم بابتسامة على الأقل.

ومن خلال الأجساد المتزاحمة شق أحدهم طريقه نحوها وتوقف أمامها قائلا:

ـ أنا فتحى العقبى .. أتسمعين عنى ؟!!

وهنا صاح عمرو كامل ضاحكاً:

ـ اجلسوا أولا فى أماكنكم ..وسأتولى مهمة التعارف بينكم ..و ..

التفت نحو ريم مستطرداً :

ـ يا آنسة ريم .. هذا أولا الأستاذ فتحى العقبى الناقد الفنى المعروف ومكتشف أغلب نجوم مصر .. و ..

وراح بعد ذلك يشير إلى كل فرد فى المجموعة على حدة ويخبرها بصفته أو بصفتها.

ثم جاء بمقعد صغير وجلس بجوارها وكأنه يحميها من ذلك الهجوم الذى باغتها .. و .. همس إليها بود قائلا:

ـ لا تنزعجى فهم يمازحونك.. وستصبحين من ضمن المجموعة بعد عدة لحظات .

لم تستطع ريم أن تخرج نفسها من عباءة الذهول التى أحاطت بكيانها كله ، فهى المرة الأولى التى تتواجد فى وسط واقع حقيقى لم تر مثله إلا فوق شاشات السينما الفضية .. رأت نساء نصف عاريات وفتيات صغيرات يتلفظن بألفاظ لا تخدش الحياء فقط بل تدمره .. ورائحة العطور التى تخدر الأعصاب ، وضباب السجائر الذى أضاف إلى الغموض غيوماً كثيفة .. وضحكات مائعة ، وكؤوس تدور ورؤوس تترنح .. و .. رأت أيضاً التناقض المذهل فى شخصية عمرو كامل الذى تحول إلى طفل عابث وشاب متهور وعربيد ثائر وصائد نساء فاجر ، وجدته فى صوره مختلفه تماماً وكأنه يقبض على شخصيتين يستعين بكل منهما على حدة حسب موقعة من الأحداث .

انتبهت إلى صوت فتحى العقبى الذى بادرها بالحديث قائلا بإصرار :

ـ سأجعل منك فاتنة الشاشة العربية .. و ..

أدارت رأسها تجاه عمرو كامل عندما تدخل فى الحديث مؤكداً :

ـ لا تقلقى بالنسبه لمحمود أو سعيد .. فأنا كفيل بإقناعهما فى الحالتين أو الاختيارين كما اتفقنا .

عاد الناقد الفنى يلح عليها بجدية:

ـ بمجرد موافقتك سأضمن لك فوراً بطولة فيلم سينمائى مع أشهر مخرج فى مصر .. و ..

التفت نحو عمرو مستطرداً:

ـ وأشهر كاتب أيضاً.

ثم عاد موجها كلماته إليها :

ـ أتحبين الفن يا آنسه ريم ؟

وجدت نفسها مضطرة للإجابة عندما سيطر الصمت فجأه ولاحظت الجميع ينتظرون حركة شفتيها .. فقالت بثقة:

ـ الفن شىء جميل وراقى أيضاً.

لاحقها مسرعاً:

ـ ليس هذا فقط .. ولكنه الشهرة والثراء والتميز بين الآخرين.

قالت بجرأة:

ـ النجاح فى أى شىء يضمن التميز.

صاحت واحدة منهن:

- لا يا حبيبتى .. التميز يحتاج الى قدرات خاصة.. و ..

اشترك الجميع فى الضحك ، باستثناء عمرو كامل الذى ركز نظرته نحو ريم بتأمل شديد وكأنه يراها لأول مرة.

وفى أول فرصة انشغل فيها الحاضرون بأحاديث جانبية تخصهم، حتى نهضت ريم فجأه مستأذنة من الآخرين وهى تقول:

- أتسمح لى بكلمة على انفراد يا أستاذ عمرو !!

أسرع يفسح لها الطريق إلى الاتجاه الآخر بعيدا عن الحضور، ثم توقف أمامها متسائلاً بحماس :

- اطلبى ما تشائين يا ريم .

تلألأ وجهها تحت الإضاءة الخافتة وهى ترفع رأسها لتنظر إليه قائلة بهدوء :

- لقد وعدتنى بأنك ستتولى أمر محمود وسعيد.

قال بصدق :

- طبعاً .. ولكن انتظرى حتى أنسق بينك وبين الأستاذ فتحى العقبى .. و ..

قاطعته مسرعة وتساءلت بعفوية:

ـ لماذا ؟ .. فأنا اخترت الاختيار الثانى ولن أستسلم لأية صعوبات .. ولكن أرجوك أن تساعدنى فى ايجاد وظيفة مناسبة لى .. فأمى عادت إلى بلدتها .. ولم يعد لى مكان بين أشقائى.

تراجع بنصف خطوة وكأنه يتفادى لطمة مفاجئه هذا الاختيار غير المتوقع منها، ثم سرعان ما استعاد توازنه وقال بود شديد :

ـ انتِ جديرة بكل الاحترام يا ريم .. وثقى بأننى سوف اساندك إلى النهاية .. وأعدك بذلك يا ابنة عم فريد .

طفرت ابتسامة خفيفة فوق شفتيه ولكنها تحمل الكثيرمن المعانى.

وشاركته بابتسامة رقيقة وهى تمد له يدها لتصافحه .. وقالت :

ـ وأنا أيضاً اعدك بأننى سوف أكون عند حسن ظنك .. وظنه .

و.. أسرعت منصرفة.

## ٤

الأمل مثل الحب ، كلاهما فى حاجة إلى مقومات تسانده لضمان استمراره .

فإذا كان الحب لا يمكن أن يدوم إلا بالاستقرار الوجدانى والمالى والنفسى ، فالأمل أيضا يمكنه أن يتحول من مجرد حلم من أحلام الكرى الى واقع حقيقى يقود ويحقق الأمانى عندما تتوفر له المساندة الصادقة والمناخ النقى البعيد عن ملوثات المقايضة أو استثمار الظروف .

وعمرو كامل لم يلجأ لأسلوب المقايضة مع ريم ولم يحاول استغلال موقفها العاجز والضعيف لصالحه ، بل سارع بكل حماس لمعاونتها اعتمادا على علاقاته القوية ، واستطاع فى خلال يومين أن يضمن لها وظيفة فى أحد المستشفيات الخاصة التى يملكها واحد من اصدقائه حيث وفر لها الإقامه أيضا بالمستشفى وفتره عمل مسائيه حتى تتمكن من مواصلة دراستها وحضور محاضراتها الصباحية بانتظام .

أحكمت ريم قبضتها على تلك الفرصة وتعاملت معها كراهبة فى محراب العلم واستطاعت بعزيمتها الفولاذية أن تتخلص من أية إحباطات او منغصات تعترض طريقها أثناء العمل ، واكتفت بسويعات قليلة من النوم لكى تتمكن من التنسيق بين عملها ودراستها ، كما استطاعت بفطرتها وتلقائيتها أن تستقطب

صداقات وعلاقات فى إطار عملها ، ولنفس الأسباب واجهت عداءات وغيرة من بعض العاملات سواء من الطاقم الطبى أو الممرضات باستثناء سامية لطفى نائبة رئيسة طاقم التمريض التى سعت بإصرار إلى التقرب منها كلما أتيحت لها ظروف موعد الوردية الخاصة بها وتوطدت العلاقة بينهما حتى طالت الأمور الشخصية.

كانت سامية لطفى ضحوكة الطباع وبشوشة الوجه ومتصالحة مع نفسها لأبعد درجة ، وكثيرا ما كانت تردد أمامها قائلة:

.. أنا أتعامل بواقعية مع ظروفى ولا أشغل بالى بمسألة تحدى الواقع .

وربما كان ذلك هو الخلاف الأوحد بين طبيعتيهما ،وكان أكثر ما يؤثر فى حميمية تلك العلاقة هو إصرار سامية على إتاحة الفرصة لريم لأخذ قسط أوفر من الراحة أثناء العمل بأن تتولى مهامها فى نهاية الفتره الليلية واقتراب بزوغ الفجر حتى لا يلحظ أحد من العاملين ذلك ، وكان من الطبيعى أن تتعمق جذور الثقة بينهما مما جعل ريم لا تشعر بأى حرج بأن تبوح لها بكل أسرارها وتحدثها عن تفاصيل ظروفها العامة والعائلية إلى أنة استقر بها المطاف بالعمل فى المستشفى .

وعلى طريقتها المرحة استقبلت سامية حديث الذكريات بينهما .. وقالت بود :

ـ انتِ تتميزين بالجرأة والشجاعة يا ريم ، و بالرغم من نحافتك ورشاقتك قررتِ الدخول فى صراع مع الواقع بكل تحد .. أما أنا يا عزيزتى فعندى من البدانة ما يكفى لتحمل الصعاب ولكنى آثرت التفاوض مع واقعى .. أو بالأصح الاستسلام له.

تساءلت بطيبة قائلة :

ـ ما دخل البدانة أو الرشاقة فى موضوعنا !!

أجابت ضاحكة:

ـ أقصد أنك لا تتحملين لطمة واحدة من لطمات غدر الأيام .. أما أنا فباستطاعتى أن ألقى بجسدى فوق المشاكل وأكتم أنفاسها وأشل حركتها أيضا .

قالت ببراءة :

ـ وهل أنت أيضا لديك مشاكل تؤرقك ؟!

حاولت أن تكون جادة وهى تجيب قائلة:

ـ يا جبيبتى ما يكسو عظامى ليس لحما او شحماً كما تتخيلين .. بل هو انتفاخ من كثرة الهموم .. و ..

راحت تسرد عليها قصتها مع ظروفها ، وكيف قبرت أحلامها وطموحاتها بأن تصبح يوما مهندسة ديكور لما تملكه من موهبة فنية كانت ستضعها ضمن القمم فى ذلك المجال ، ولكن ظروف

اسرتها المالية المتواضعة جعلتها تقرر الالتحاق بمعهد التمريض لكى تختصر الطريق دون مكابرة ..و ..

فاجأتها قائلة على غير المتوقع :

ـ على الأقل أنتِ وجدتِ من يساندك لتحقيق حلمك ..أما أنا فليس لدىّ غير خطيبى المحاسب المسكين مثلى .. فكلانا يمثل للآخر عكازاً يستند عليه .. خمس سنوات يا عزيزتى أنا وهو نضع الجنيه فوق الجنيه حتى نتمكن من الحصول على منزل يؤوينا .

وعادت تطلق ضحكاتها المقهقهة وهى تردد قائلة :

ـ ولا مانع أن تكون العملة دينارا أو دولاراً .. المهم فى النهاية أننا متفاهمان على كل شىء .

ومره ثانية تخرج عن الموضوع وكأنها جملة اعتراضية وأردفت :

ـ اتعلمين يا ريم أننى أتحصل من مجموع دخلى الشهرى أكبر من أى طبيب أو طبيبة هنا ممن هم فى مثل أعمارنا .

ابتسمت ريم دون أن تعقب .. واستمرت سامية فى حديثها المرح قائلة :

ـ إنها مسأله مقايضة عادلة .. فمن يرد الشهادة والأبهة عليه تحمل متطلبات المهنة .. أما أمثالى فلا غضاضة من قبول

الهدايا من المرضى وأيضا البقشيش أو التبس كما يدللونه بالإنجليزيه .

و .. فجأة تبدل الحال عندما تم استدعاؤها لدخول حالة حرجة إلى المستشفى حيث دخلت طفلة إلى غرفة العمليات نتيجة إصابتها بنزيف حاد إثر سقوطها من الطابق الثانى .. وعند نهاية الممر المؤدى إلى غرفة العمليات لاحظت ريم تجمع بعض من أفراد عائلة الطفلة وهم فى حوار متوتر مع مسئولى المستشفى عندما طالبوهم بشراء كيس الدم من البنوك الخارجية لعدم توفره بالمستشفى .. راقبت ريم الحوار الدائر بين احدهم الذى بدا فى غاية التوتر وبين الطبيب :

ـ كيف لا يوجد بمستشفى استثمارى كهذا أكياس من الدم ؟!

أجابه الآخر:

ـ أنا لم أقل أنه لم يوجد ..بل قلت فصيلة الدم غير موجودة الآن.

همس وكأنه يحدث نفسه:

ـ ستموت إذن!!!

وبلا تردد اندفعت ريم الى داخل غرفة العمليات وأخبرت الطبيب الجراح بأن فصيلة دمها تسمح بأن تعطى لكل الفصائل ، ولم تدع له فرصة حتى للتفكير واستلقت بجوار الطفلة استعداداً لمنح الدماء إلى جسد الطفلة الهزيل .

نصف ساعة .. أشبه بنصف قرن ، والوقت يمر بتثاقل مرير وعائلة الطفلة يبتهلون إلى الله بالدعاء لها بالنجاه ، بينما لا يزال بعضهم يتساءل فى همس بأن سوء إدارة المستشفى بل أغلب المستشفيات التى يقال عنها استثمارية التى لا يحتكم فئة من أصحابها إلى الضمير الإنسانى فى مثل هذه الحالات الحرجة حيث قانون المال هو الهدف بعيدا عن أى شخص آخر.

وظهرت ريم مرة ثانية وعلى شفتيها ابتسامتها الهادئة الرقراقة وهى تردد قائلة لتطمئنهم :

ـ ما اسم الطفلة الجميلة ؟!

أجاب الذى يقف خلفها بصوت خافت:

ـ ريم .

التفتت إليه بسرعة .. وقالت:

ـ نعم .

والتقت نظرتها بعينيه المرهقتين ، ومضت لحظات صمت بينهما كانت كافية لأن يتم التعارف بين ملامحهما وسط باقى المجموعة .. وعادت تكرر قائلة:

ـ نعم .. حضرتك ناديتنى !!

قال بهدوء:

ـ بل أجبتك على تساؤلك .. فاسم الطفله ريم .

لم تدر فى حينها سببا لاندفاع الدماء إلى وجنتيها ، إن كان خجلا أم سعادة ، وهو فى الحقيقة إحساس غامض شق طريقه إلى وجدانها بدون إرادتها .. فاستدارت موجهة كلماتها للجميع وهى تتوسطهم قائلة:

ـ هى بخير والحمد لله .. فقط مجرد دقائق ويمكنكم رؤيتها لتطمئنوا عليها جميعاً .

اقتربت منها إمرأه شابة وقالت فى لهفة:

ـ هل ابنتى بخير حقاً؟!

جاوبتها بابتسامة وهى تؤكد:

ـ نعم بخير.. وأرجوك لا تقلقى .

و ..تحركت منصرفة ولم تستطع أن تخفى محاولتها للنظر إلى الرجل الذى ظنت أنه يناديها ، بينما استسلم هو إلى لحظات تأملها وظل يتابعها بنظرة إلى أن اختفت عند نهاية الممر.

تعايشت ريم وهى فى غرفتها مع مشاعر ناعمة ومتباينة تسللت إلى أعماقها بهدوء وهى تقلب صفحات أحد المراجع الطبية الخاصة بدراستها ، مشاعر تنبض بالسعادة والرضا والارتياح ، وتفرض أيضا عليها صورة الشاب الذى كان برفقة الطفلة ..

ولم تستطع أن تحدد سبباً مباشراً لتلك الأحاسيس المبهجه إلا من خلال رضاها عن موقفها عندما تبرعت للطفلة بدمائها دون أدنى تردد حيث لم تفارقها أثناء ذلك صورة والدها وكأنه يشهد على نقاء سريرتها وصفاء قلبها وتمسكها بالقيم النبيلة التى غرسها فى أعماقها بصوره غير مباشرة ، فتعلمت منه أن أسمى معنى للعطاء هو الذى يكون دون انتظار للمقابل ، كما تعلمت من رحلته الطويلة أن الأهداف النبيلة تستحق المعاناة والتحدى والصبر من أجل تحقيقها .

و .. فى ظهيرة اليوم التالى وأثناء انصرافها من الكلية بعد انتهاء المحاضرة فوجئت بما لم يكن فى حسبانها نهائيا وكأنها تعيش لحظات مع إرهاصات أحلام داعبت خيالها أثناء نومها .. وجدت نفسها وجها لوجه أمام الرجل الذى ردد اسمها دون سابق معرفة بالأمس وما إن اقترب منها حتى بادرها بشىء من الارتباك قائلا:

ـ آنسة ريم .. يجب أن أعترف أولا بأن هذا اللقاء ليس مصادفة .. ولكنى اضطررت للإقدام عليه نظرا لظروف خاصة بى .

وقفت تتابعه بصمت دون أن تحرك شفتيها ، مما شجعه لأن يواصل مستطرداً:

ـ فقط جئت لكى أكرر إليك شكرى وامتنانى لموقفك النبيل بالأمس

وبصعوبة مصحوبة بابتسامة حائرة .. قالت:

ـ ولكن كيف عرفت أننى هنا ؟!!

أجاب بتودد:

ـ زميلتك الظريفة سامية لطفى أخبرتنى بمكانك عندما شرحت لها ظروفى القاهره وإصرارى على مقابلتك .

احتفظت بابتسامتها وهى تتساءل بعطف:

ـ وكيف حال ابنتك ريم ؟

أجاب مسرعا وكأنه ينفى اتهاما عن نفسه:

ـ لا .. إنها ليست إبنتى .. ريم هى ابنة شقيقتى التى اتصلت بى بعد الحادثة .

مضت لحظات بينهما وكأنهما تركا الأمر لحوار الصمت المتبادل بين مقلتيهما .. ثم عاد قائلا بعد أن تنبه لشىء ما :

ـ أنا أحمد فهمى .. أعمل مهندسا للبترول فى الخليج وحضرت فى إجازة سريعة لاستكمال إجراءات شقة لى .. ومضطر للعودة غدا لإنهاء تعاقدى هناك بعد أن أنهكتنى الغربة ولم أعد أحتمل الاستمرار فيها ..و.. ازدرد ريقه فى محاوله لإخفاء ارتباكه .. ثم أردف قائلا:

ـ ولذلك أصررت على لقائك اليوم لكى أعبر لك عن شكرى وإعجابى بموقفك النبيل الذى اخبرتنى به آنسة سامية .

أجابت على استحياء:

ـ أنا لم أفعل شيئاً .. فهذا واجبى والمفترض أن أقوم به .

اتسعت ابتسامته وهو يقول باتزان:

ـ أنا أيضا أشعر بالارتياح الكبير لأننى أديت واجبى نحو رغبة ملحة لكى أراك اليوم.

لم تعلق .. وكأنها لم تزل تعايش حلم اليقظة الذى لازمها منذ أن رأته بالأمس .. إحساس ما سيطر على وجدانها اختلطت فيه معانى الانبهار والاعجاب والقلق من المجهول ، ولكنه فى النهاية يمنحها شعوراً بالارتياح وهو يقف أمامها .

تنبهت إليه وهو يقول بتأدب :

ـ ترى هل أطمع فى قبولك طلبى لكى أوصلك بسيارتى لأى مكان ترغبين فيه!!

أجابت بلا تردد وهى تنظر إلى ساعة يدها :

ـ ما زال أمامى ساعتان على موعد الوردية بالمستشفى .

ابتهجت ملامحه وهو يلاحقها قائلا بجرأة :

ـ طموحى لن يتجاوز حدوده مع الزمن .. ساعة واحدة تكفينى وأنا برفقتك فى أى مكان تفضلينه .

تلألأت ابتسامتها الرقيقة وهى تقول :

ـ أنت القائد وسأترك لك الأمر.

بدت سعادتة واضحة وهو يجلسها بجواره داخل سيارته الفارهة ، بينما راحت هى تختلس النظر إليه بين الاونة والأخرى ، وكأنها ترغب فى الاحتفاظ بملامحه عن قرب فى أعماق ذاكرتها .

كان أحمد فهمى فارع القامة ، له شعر كثيف بلون الفجر وعينان ثاقبتان أضافا لملامحه المزيد من الوقار والرهبة وبنبرة صوته الهادئة توحى بالثقة والاعتزاز بنفسه .

فى النهايه استقر بها الأمر داخل إحدى العوامات الراسية بجوار شاطئ النيل وهو يواصل حديثه عن حياته الخاصة بتلقائية وكأنه يرغب بحق فى أن يتخلص من كل ذكرياته ويضعها بين يديها .. أخبرها عن علاقته بشقيقته الوحيده التى انفصلت عن زوجها منذ فترة ، وعن صدمته فى الانسانة التى دمرت خطوبتهما بعد الحادثه التى تعرض لها بسيارته السابقه ونتج عن ذلك بقاؤه ستة أشهر بالفراش .. و ..

بدون أن تدرى قاطعته بلهفة قائلة :

ـ لا أفهم .. كيف أنهت هى الحب بينكما بسبب الحادث ؟!

تدلت ابتسامة خفيفة على طرف شفتيه قبل أن يقول :

ـ لم أقل حبا .. إنما ذكرت لك أنها مجرد خطوبة .. ويبدو أنها تصورت أننى سأظل قعيدا واختارت أان تتخلى عنى فى هذا التوقيت .

و .. عاد يسترسل كيف قرر بعد ذلك أن يغترب بعدما شعر بأن غربة الوجدان أكثر مرارة من غربة المكان.

ثم فاجأها متسائلا بحذر :

ـ وانتِ .. ألا تحدثيننى عن نفسك .. وأرجو ألا تعتبرى ذلك تطفلا منى .

سرت فى كيانها قشعريرة الارتباك لعدة لحظات ، وكأنها اكتشفت فجأه بأنها مطالبة بأن تتحدث عن نفسها .. أو تكشف عن أسرارها الخاصة وسرعان ما استعادت توازنها النفسى وراحت هى الأخرى تخبره عن طموحاتها وعن علاقتها الوهمية مع أكرم صدقى الذى كشف عن عدم قدرته على تحمل المسئولية دون أن يدرى.

لم يرغب أحمد فهمى فى إقحام نفسه وتساؤلاته عن تفاصيل حياتها خوفاً من نفورها منه إذا لم تكن ترغب فى ذلك ، وظل

صامتا وهو يتأمل وجهها الملائكى إلى أن أوقفت حديثها .. فقال وكأنه يحدث نفسه :

- يبدو أن ظروفنا متشابهة .. أليس كذلك ؟!

قالت بنبرة هادئة :

- أجمل ما فى النفس البشرية قدرتها على النسيان .

علق مازحاً:

- أنا شخصياً لا أرغب مطلقاً فى أن أنسى هذا اللقاء .

اندفعت حمرة الخجل إلى وجنتيها لجرأته غير المتوقعة .. وهمهمت بصوت منخفض:

- ليس كل ما فى حياة الإنسان يستحق النسيان ..و ..

نظرت إلى ساعة يدها وأردفت:

- لقد مر الوقت سريعاً .. والساعة انتهت .

قال وهو ينهض معها فى اتجاه السيارة:

- أرأيتِ كيف يكون الزمن قاسياً وبخيلاً فى بعض الأحيان!!

قالت وهى تندلف داخل السيارة:

- هل ستعود قريباً ؟!

أجاب بسرعة:

ـ أنا أفكر فى العودة من الآن.

واشتركا فى ابتسامة رائعة تحمل الكثير من المعانى .

وفى الطريق سيطر الصمت عليهما دون أن يجدا مبرراً لذلك ، وكأن كليهما يتساءل مع ذاته عما يخبئه القدر لهما بعد هذا اللقاء المثير .. لقاء الغرباء .

وأمام المستشفى أوقف محرك سيارته وبادرها بعفوية :

ـ لم تعطينى رقم موبايلك .

رددت منزعجة بدون قصد :

ـ أنا لا أملك موبايل .. أقصد لا أفضل استعماله .

عاد متسائلاً بترقب :

ـ وماذا عن تليفون المنزل؟!!

أجابت بتلعثم واضح :

ـ يمكنك الاتصال بى عن طريق أرقام المستشفى .. هل تعلمها؟!

قال وهو مكتئب:

ـ نعم معى .

و.. هبطت من السيارة وهى تردد مسرعة :

ـ أراك بخير بإذن الله .

لم يتفوه بحرف واحد .. وظل يتابعها إلى أن اندلفت إلى داخل مبنى المستشفى دون أن تلتفت إليه فى محاولة منها لإخفاء توترها .

مثلما تشعر كل أم بأول نبضةلأول جنين فى أحشائها ، وتتمنى أن تتكور داخل رحمها لتصبح درعا واقياً يحميه من الانفلات عنها ، هكذا شعرت ريم فريد لأول مرة فى حياتها بنبضة غريبة اندست داخل شرايين قلبها .. نبضة راقصة على أنغام حالمة لا تصل إلا لمسامعها هى فقط .

ماذا حدث ؟!!

تساءلت هامسة إلى نفسها وهى فى الطريق باحثة عن صديقتها وزميلتها سامية لطفى وما إن التقت بها بادرتها بفرحة حقيقية :

ـ أين انتِ يا أفضل وأصدق صديقه لى ؟!

اجابت سامية وهى تضحك بصوت مرتفع :

ـ ما سر كل هذه السعاده يا ريم .. يبدو أنك استعدتِ شيئاً كنت فقدتية قبل ذلك .

أجابت بلا تردد :

ـ بل حصلت على شيء كنت أفتقده كثيرا فى حياتى .

ـ لا داعى للمناورات الكلامية .. وأخبرينى بما حدث .

و .. أخبرتها بكل شيء .. لم تستطع أن تخفى سعادتها الجامحة ، وراحت تعدد لها محاسن شخصية ذلك الوافد الغريب ، وكيف شعرت بالأمان وهى بجواره بالرغم من أن عمر العلاقه مجرد ساعة زمنية واحده .

قالت سامية وكأنها تعزز مكانة الدور الذى لعبته من أجلها :

ـ لقد التقيت به مصادفة فى مكتب الخزينة وهو يسدد فاتورة المستشفى ورأيته حائرا ومترددأ قبل أن يسألنى عنك .. وطبعاً أخبرته بمكانك .

وقبل أن تعقب ريم أردفت وهى مستاءة :

ـ تصورى يا ريم أنهم حاسبوه على ثمن كيس الدم .. فعلا مثل هذه المستشفيات تتعامل مع المرضى بمبدأ التجارة واستثمار الأرباح .

شعرت ريم وكأن الآخرى قد ألقت على وجهها بماء النار الذى التهم ملامحها الجميلة فجأة ، وتحولت إلى كيان غاضب وثائر وهائج كالثور وهى تصرخ بانفعال شديد :

ـ كيف يفعلون ذلك .. ليس من حقهم المتاجرة بدمائى .. و ..

انطلقت كالنمرة المفترسة إلى غرفة الخزينة حيث انهالت بالسباب والاحتجاج على موظفى الحسابات فى ثورة كالبركان المتدفق بلا توقف.

وفى ثوان تجمع المسئولون عن إدارة المستشفى حولها فى محاولة فاشلة ويائسة لتهدئتها وهى لا تزال فى غضبتها مرددة:

- هذا ابتزاز .. بل سرقة.

وهنا تدخل كبيرهم قائلاً بحدة:

- هذا يكفى يا آنسة ريم .. أنت تعملين داخل منظومة محترمة .. وحذار من التمادى فى انفعالك .

التفتت فى اتجاهه ، وكان ذات الرجل الذى قبل وساطة الروائى عمرو كامل لكى يجعلها تعمل بالمستشفى .. فى هذه الآونه حاولت أن تتماسك وهى تقول بانفعال مكبوت :

- لقد تبرعت بدمائى برغبتى .. و ..

قاطعها بحزم :

- هذا أيضا من واجبك لأنك تعملين بالمستشفى وتتقاضين أجراً .. و .. صمت للحظة وهو يدقق النظر إلى عينيها ثم استطرد قائلا :

- كما أننا راعينا ظروفك وتحملنا بعض الاستثناءات من أجلك.

وقبل أن تفيق من إهانتها .. لاحقها المسئول قائلا:

- وعلى كل حال لقد أنهينا تعاقدنا معك من الآن .. و ..

التفت نحو موظفى الحسابات معقباً:

- امنحوها باقى مستحقاتها فوراً وأوقفوا تلك المهزلة .

وتركهم منصرفاً .. بعد أن أدلى بتعليماته أو بقرار تشريدها من جديد.

---

٥

الزمن .. ذلك الساحر المبهم الذى يحتضن فى أعماقه كل الوجود ، هو الذى تبدأ منه حسابات الحياة وتتوقف عنده أيضاً .. معنى هلامى بلا قلب أو انتماء ولا مشاعر وكذلك بلا حدود .. هو المتلقى الاوحد لكل المتناقضات التى تفرزها أفراح وجراح البشرية بأجمعها .. مسئولا بلا مسئولية عن النجاحات والإخفاقات والقيم الجميلة وايضا خطايا الرذيلة .

هكذا وجدت ريم فريد نفسها فى مواجهة غير متكافئة مع الزمن أو مع واقعها المتغطرس والعنيد .. اضطرت أن تعود إلى المكان الذى طردت منه وابتلعت فى جوفها مرارة الاهانة وبطش الجهل وسموم الحقد الذى تفنن شقيقها سعيد فى محاصرتها به من خلال عقده وأمراضه النفسية وأيضا من خلال سلبية أخيها الأكبر محمود الذى وقف عاجزا أو مساندا بصمته لكل الأهوال التى تلقتها ريم وعلى قمتها نبأ وفاة والدتها أثناء فترة غيابها عن الجراج .

لم يعد فى مقدورها ان تقدم التنازلات لأنها فى الأساس لا تملك قرارها .. أخلت غرفتها لصالح سعيد وزوجته الجديدة ، وارتضت مقهورة بأحد أركان غرفة استقبال الزائرين بعدما احتل محمود حجرة والدته لإقامته بالإضافة للمساحة الضيقة الباقية لتخزين صناديق المياه الغازية وغيرها التى يتاجر بها مع اهالى المنطقه .

دوامات الحيرة جعلت منها كقطعة الفلين التى تتقاذفها أمواج البحر تارة إلى أعلى وأخرى تخفى معالمها للحظات .. فبقايا النقود التى كانت تدخرها بدأت تتسلل من بين يديها وشبح الخوف أحكم قبضته على فكرها وهى تقاوم بكل إرادتها فكرة اللجوء إلى الروائى عمرو كامل مرة ثانية بعد الذى حدث فى المستشفى خجلا منه .. أضناها البحث عن عمل آخر خاصة أنها كانت تتعمد الانصراف مبكرا ولا تعد إلا مع الغروب تجنبا لأية مواجهات مع ساكنى الجراج التى تشعر بينهم بالغربة والنفور لإحساسها بأنهم يترصدونها ويتربصون لأى خطأ منها يمنحهم المبرر لإيقاظ ما يضمرونه لها فى أعماقهم .

لم يكن أمامها غير أن تلعن الزمن .. وكأنه مسئول عن رحيل والدها بالموت المفاجئ وما ترتب عنه من ضياع وقهر وانكسار.

ساقتها قدميها الى إحدى الصيدليات بمنطقة المهندسين لتعرض خدماتها فى الفترة المسائية ، وكأن الأقدار هى التى تسوقها فبعد يومين من استلامها للعمل الجديد بمرتب لايكاد يكفى مصاريف تنقلات مواصلاتها ذهابا وإيابا إلا أنها وافقت مضطرة لتتمكن من مراجعة دروسها فى مناخ هادئ خاصة أن امتحانات نهاية العام ستبدأ بعد أيام قليلة .

دخلت الصيدليه فتاة صغيرة ومدت إليها بالروشتة لشراء بعض الأدوية ، وما كادت ريم تتابع أسماء الأدوية حتى تصلبت

نظرتها فوق اسم الطبيب الذى تقع عيادته على بعد أمتار من الصيدلية .. كانت الروشتة باسم الدكتور أكرم صدقى بطل قصة الوهم التى عاشت أحداثها منذ بداية التحاقها بالكلية .. الطبيب الشاب الذى تحطمت تحت قدميه فى آخر لقاء بينهما كل أحلامها الوردية وتهاوت عنده مشاعرها الحبيسة كما تتهاوى القصور الرملية فوق شواطئ العشاق .

و .. بدون إرادتها وجدت نفسها تسأل الفتاة قائلة :

ـ هل الدكتور أكرم موجود بالعيادة الآن ؟!

أجابت الفتاة بتلقائية:

ـ نعم .. فأنا تركت العيادة منذ دقائق فقط .

كالمسحورة وجدت ريم نفسها تخطو فى اتجاه عيادة أكرم صدقى بعد انتهاء فترة عملها بالصيدلية .

وقفت تتأمل اللافتة المضيئة التى تحدد اسم الطبيب والطابق الخاص بعيادته وكأنها تسترجع فى ذاكرتها رحلة طويلة مع أحاديثه ومواقفه ومبادئه التى طالما رددها أمامها فى السابق .

استغرقت عدة لحظات ما بين ترددها فى الصعود إلى العيادة وبين انتظاره .. وقبل اتخاذها القرار ظهر أكرم صدقى عند الباب الخارجى للعقار فى طريقه إلى الانصراف ، فأسرعت فى اتجاهه دون تردد .. ونادت بصوت مرتفع قليلا :

- دكتور أكرم .. دكتور أكرم .

التفت تجاه الصوت ليفاجأ بها فى لحظة اختلطت فيها كل مشاعره ما بين الفرحة والدهشة واللهفة .. و .. التراجع .

ردد بهمس :

- ريم .. يا لها من مفاجأه !!

قالت بهدوء :

- فى الحقيقة هى مفاجأه بالنسبة لى أيضا .. فأنا علمت بوجودك هنا منذ دقائق فقط .

تلفت حوله قبل أن يقول بحذر:

- تفضلى إلى سيارتى لنذهب إلى أى مكان يمكننا التحدث فيه .

رافقته فى صمت وهى تتأمل السيارة الفاخرة التى يخطو فى اتجاهها .. وبعد أن اندلفت بداخلها وجلست بجواره وتحرك بها لعدة أمتار .. بادرها متسائلاً :

- كيف حالك يا ريم ..وما هى أخبارك ..هل تركتِ الكلية .. أم..

أسرعت قائلة :

- بالتأكيد لم أتركها .. فأنا أستعد للامتحانات بعد عدة أيام .

طفرت ابتسامة باهتة على جانب من شفتيه .. ثم همس وكأنه يحدث نفسه :

- رائع .

وبعد أن استقرا داخل كافيتريا الفندق الشهير .. بادرته هى بمباغته غير مقصودة :

- يبدو أن أمورك تحسنت كثيرا .

عادت ابتسامته الفاترة من جديد قبل أن يجيب باقتضاب مبهم :

- لقد اختصرت الطريق !!

وقبل أن تستفسر عن تلك الإجابة المبهمة ، لا حقها مستطردا باسترسال :

- لقد حسمت قرارى مع أول فرصة لاحت لى .. ووجدت أن المنطق يساندنى أمام مواجهة واقعى .. وبالرغم من أن المقابل كان رفض عائلتى وغضبها منى وتكاد تكون أواصر العلاقه بينى وبينهم قد تمزقت تماماً .. إلا أن النتيجة كما ترينها الآن .. عيادة فاخرة وسيارة غالية ومسكن يطل على النيل .. و .. وهو ما كان سيحتاج منى عشرات السنين إذا ما حاولت أن أحقق كل هذا .

ازدادت حيرة وهى تتساءل بدهشة :

ـ لا أفهمك .. ماذا تقصد باختصار الطريق .. وكيف ؟!!

قال بنبرة متهكمة :

ـ تزوجت.

لم يثر اهتمامها .. وسألت مرة أخرى بعفوية :

ـ وما الغريب فى ذلك ؟!!

أجاب بصوت منخفض :

ـ ثلاثون عاما الفرق بين عمرى وعمرها .. تقريبا فى عمر والدتى .

اتسعت عيناها بنظرة امتزج فيها الدهشة والانزعاج

وقالت بجرأة غير متوقعة :

ـ تقصد بعت نفسك من أجل المال !!

أسرع يقاطعها مؤكداً :

ـ بل اشتريت مستقبلى .. وأنقذت أحلامى من الضياع وحصنت نفسى من الفقر والشقاء والهرولة وراء الشعارات التى لا تفيد .. ويكفى أنه فى يوم من الأيام عجزت أن أبوح بما فى أعماقى من أحاسيس لأننى كنت أشعر بعدم أحقيتى فى التعبير وهو اقل حق لأى إنسان طبيعى .

شعرت بإحساس الغثيان وهى تتساءل :

- وهل أصبحت تملك الآن حق التعبيرعما فى أعماقك..؟!!

أجاب بثقة :

- نعم .. فأنا الآن قادر على الأقل أن اخبرك بأنك كنت أول وآخر حب فى حياتى كلها .. و ..

انفلتت الكلمة من بين شفتيها مرددة بانزعاج شديد :

- حب ...

صمتت عدة ثوان قبل أن تستطرد قائلة :

- عن أى حب تتحدث !!

اجاب بجدية :

- تساؤلك هذا أكبر دليل على قدر القهر النفسى الذى عشت فيه بسبب عجزى عن إخبارك بمشاعرى نحوك .. علاقتنا دامت سنوات طويلة وكل منا لا يجرؤ أن يفصح للآخر عن حقيقة مشاعره.

قالت بحدة:

- ما أهمية المشاعر إذا لم تساندها المواقف ؟!!

طأطأ رأسه قليلا قبل أن يجيب قائلا :

ـ أعرف أن موقفى كان سلبياً عندما اخبرتنى بمشكلتك ..ولكن ..

قاطعته وهى على انفعالها المكبوت :

ـ كما أننى لم أطالبك بشىء .. وأحمد الله أننى لم أفعل ذلك .

مسح جبهته بطرف إصبعه ، ثم قال وهو يحاول أن يخفى ارتباكه :

ـ على كل حال .. دعينا من الماضى .. الآن الظروف تغيرت والقدر جمع بيننا مرة ثانية .. وبإمكاننا أن نحقق كل ما كنا نحلم به .

رمقته بفتور وتساءلت :

ـ ماذا تقصد ؟!

قال بلا تردد :

ـ نتزوج !!

قالت بهدوء وكأنها تستدرجه نحو أمر ما :

ـ كيف ..هل ستتزوجنى بأموال زوجتك..أم ستطلقها من أجلى؟!!

أجاب وكأنه يلقى محاضرة فى مدرج تعليمى :

- يا ريم أنا أكثر منك خبرة فى الحياة .. والأيام لا ترحم ، وموضوع المبادئ والمثل العليا يمكن التحدث عنهما فى الكتب أو فى الجلسات الخاصة ..أما على أرض الواقع فالأمر مختلف .

همهمت بحذر :

- وهل ستخبر زوجتك بما سنقدم عليه ؟!

اسرع دون وعى مردداً :

- بالطبع لا .. ولكن يمكننا الزواج عرفيا بشكل مبدئى .

قالت وقد ترقرقت ابتسامتها الهادئة فوق شفتيها :

- كم أنا سعيدة بلقائك اليوم .. و ..

وقبل أن تبتهج ملامحه .. عادت واستطردت :

- لأن صورتك اكتملت تماما فى نظرى .. وتأكدت أن والدى توفى وهو راض عنى .. فأنت تستحق ما أنت فيه ، أما أنا فأنقذت من الوهم الذى كنت أعيش به أيضاً.

ابتلع إهانته ببرود ، وقال فى محاولة لرد اعتباره :

- انتِ مكابرة يا ريم .. وعناد الواقع قد يكلفك كثيرا ..و سوف ترين !!

وقفت فجأة بلا مقدمات .. وقالت وهى تتأهب للإنصراف من أمامه :

ـ دعنى أسألك أنت سؤالا لتبحث عن إجابته مع نفسك .. هل من الأفضل أن أتصارع مع الواقع وأنا محتفظة بكيانى وكبريائى .. أم أرضخ له وأقايضه بكرامتى للدرجة التى أخجل فيها من نفسى كلما نظرت إلى المرآه .. وما بالك من نظرة الآخرين أيضا .. و ..

تركته دون كلمة وداع .

بدت خطواتها متعثرة كخواطرها تماما .. استقلت الميكروباص لينقلها إلى الزمالك وهى تعيش لحظات مع أحلام اليقظة ما بين ماضيها وحاضرهاومخاوفها من المستقبل .. استراحت الى إحساس هادئ تغلغل إلى أعماقها ومنحها شعورا بالرضا والفخر ، لأنها استطاعت فى لحظة ضعف شديدة أن تستنفر فى داخلها نبضات التحدى لتواجه العرض المغرى الذى قدمه إليها أكرم صدقى وهى تدرك تماما أنها إذا قبلته سوف تنتقل من حياة إلى أخرى ومن واقع إلى بديل آخر سينتشلها من حالة التشرد الذهنى والبدنى أيضاً .. ولكنه الوفاء والحب .. الوفاء لذكرى والدها عم فريد الذى أفنى حياته فى سبيل تحقيق حلمه الكبير لمستقبلها ، والحب الذى ملأ قلبها كطبيعة فطرية احتوت كيانها منذ طفولتها فتحصنت به من نزوات نفسها .

وبلا مقدمات طفرت إلى مخيلتها صورةاحمد فهمى لتقحم نفسها فى مقارنة بينه وبين أكرم .. أعادتها تلك اللحظة إلى ارض الواقع وهى تطل من نافذه السيارة وكأنها تكبح جماح خيالها بعيدا عن تصورآخر قد يعيدها من جديد إلى حالة الوهم فى ثوب بديل لم يعد فى مقدورها ارتدائوه مرة ثانية بعد إدراكها بأن أحلام اليقظة عادة ما تغدر بصاحبهاعند أول مواجهة مع الواقع.

هبطت من السياره واتجهت سيرا على قدميها نحو الجراج .

كانت الساعة قد اقتربت من منتصف الليل .. توقفت عن السير عندما لاحظت ازدحام غير عادى أمام بوابة الجراج ومسحت المكان بنظرتها لتجد بعض سيارات الشرطة على الجانبين والمدخل الخاص به ، فتحركت مسرعة فى اتجاهه لتستطلع الأمر وبمجرد اقترابها من الباب الخارجى استوقفها أحدهم متسائلاً :

- انتِ ريم ؟!!

أجابت وهى فى اضطرابها :

- نعم أنا ..

فى هذه الأثناء اقترب منها شخص آخر وبادرها قائلا :

- أين غرفتك ؟!

وقبل أن تجيب دفعها برفق لترافقه إلى داخل الجراج حيث يوجد المبنى المتطرف فى نهاية الممر ودخل بها إلى أحد زوايا الغرفة وعاد ليتساءل بحزم :

ـ أهذا فراشك ؟.

ردت بصعوبة :

ـ نعم .. نعم هذا فراشى.

التفت إلى شخص ثالث اندفع نحوه مسرعا وهو يحمل فى يده حقيبة متوسطة الحجم فتناولها منه ، وعاد إليها قائلا :

ـ هذه الحقيبة تخصك ؟!!

حاولت أن تتفحصها جيدا قبل أن تقول :

ـ كانت لى سابقا ولم أعد أستعملها منذ كنت فى المرحلة الثانوية.

ابتسم بسخريه قبل أن يعقب قائلا :

ـ هذه الحقيبة وجدت أسفل فراشك .. وهى مليئة بالحبوب والأقراص المخدرة.. و ..

اتجه بنظره إلى شقيقها سعيد .. ثم أردف :

ـ وأخوك يؤكد عدم علمه بهذه الأقراص وقرر أنها تخصك لأنك تعملين فى المستشفيات والصيدليات .. و ..

صرخت بانزعاج :

- مستحيل .. أنا لا أعلم شيئا عن هذه المخدرات

قال محتداً :

- لا داعى للمراوغة .. أخوك اعترف عليك .. كما اعترف على ملكيته لنبات البانجو الذى وجدناه فى غرفته .. يبدو أنكم تشكيل عصابى كل واحد منكم له تخصص .

- أنا طالبة طب .. ومستحيل أن ..

قاطعها بغضب :

- يبدو أنك سترهقيننا فى التحقيق .. و ..

تحول إلى احدهم آمراً :

- خذها للسيارة مع اخيها تاجر المخدرات .

و .. قبل أن يتقدم نحوها المكلف بتلك المهمة ، فوجئ الجميع بسقوطها على الأرض مثلما تسقط الصخرة من فوق اعلى قمة الجبل .

وبمنتهى الحزم ردد الضابط :

ـ احملوها الى السيارة فلقد عهدنا تلك التمثيليات كثيرا من قبل ، فحملوها وهى معشى عليها وساروا بها بين الحشد المتجمهر والتعليقات تلاحقها من كل جانب .

---

## ٦

الظلم لا يعشش إلا فى الكيانات الضعيفة .. فهو كالفيروس المدمر الذى لا يقترب ولا يجرؤ الاقتراب إلا من الأجساد الهزيلة التى تفتقد لكل مقومات المناعة ، وهو أيضا لا يمكنه أن يتعايش أو يفرض وجوده إلا بمعاونة حلفائه من الفطريات السامة بمختلف أشكالها وفصائلها كالغدر والجبن والأنانية والخسة والطمع وشهوة التسلط والتسلق والمصالح المشبوهة والنفاق واللامبالاة .. و .. الصمت عليه عمداً .

ليال رهيبة مضت على ريم فريد .. بدت عقارب الساعات أشبه بالأشواك التى تعلو ظهر القنفذ ، فكلما مرت ساعه لتلحق بالأخرى كانت تعتصر وجدانها وتغرس أسنتها فى كيانها الضعيف ، وهى تواجه اتهامات ظالمة من كل اتجاه .. وعلى غير المتوقع حاول شقيقها الأكبر محمود أن يكون إيجابياً لأول مره وأدلى بشهادته أمام النيابة لصالحها واتهم شقيقه بأنه هو الذى يعمل فى تجارة الاقراص المخدرة ، كما أنه سارع بالاتصال بالروائى عمرو كامل مستنجدا به لعله يجد مخرجاً لها من تلك الأزمة من خلال تكليف محام يتولى الدفاع عنها .. واستطاع عمرو كامل بالفعل أن يدير أزمتها بهدوء بعد أن طلب منها إرسال خطاب مسجل للجامعة بالاعتذار عن عدم دخول الامتحان لهذا العام نظراً لظروف خاصة بها وكان مجرد

ظهوره فى الصورة أمامها كفيلا بأن يعيد إليها الاحساس بالأمان وبأنها ليست وحيده بل هناك من يساندها عن اقتناع .

كان فى استقبالها عند خروجها من سراى النيابة ،. بدت هزيلة وشاحبة ومنكسرة ، كياناً محبطاً .. خطواتها ثقيلة بالرغم من نحافة قوامها ، وانطفأ بريق مقلتيها وذابت ابتسامتها من فوق شفتيها .

سارت بجانبه فى استسلام بلا ارادة ، لم يتبادلا أى حوار أثناء استقلالهما سيارة الأجره التى توقفت بعد دقائق أمام أحد الكازينوهات حسب طلب عمرو كامل .. وبمجرد جلوسهما فى أحد أركانه .. بادرها قائلاً:

- أشعر تماما بما تعانين منه الآن .. وأقدر حالتك النفسية .. ولكنى أرى من واجبى نحوك أن أتحدث معك بوضوح فى أمور كثيرة .

رفعت نظرتها إليه وقالت بنبرة هادئة :

- قبل أى شيء أريد أن أشكرك على مواقفك معى التى ...

قال مسرعاً:

- دعينا نفكر فى الغد أفضل .. و ..

قاطعته بإصرار :

ـ لدىّ سؤال حائر يدور فى ذهنى دائما وأرجو أن أجد إجابته عندك !!

سألها بشغف :

ـ ما هو .. اسألى كما شئتِ ؟!

قالت وهى تتأملة:

ـ لماذا تفعل معى كل هذا .. لماذا أنت فقط الذى أجدك دائماً تساندنى فى كل أزماتى؟

أشاح بوجهه بعيدا عن عينيها للحظة .. ثم عاد اليها قائلا :

ـ من حقك أن تعلمى .. وأعتقد أنها لحظة مناسبة لتعرفى كل شىء .

انتظرت صامتة لعدة لحظات .. ثم همست :

ـ من فضلك لا تتردد :

أطلق من صدره زفرة طويلة قبل أن يجيبها :

ـ عم فريد رحمة الله عليه ، طوّق عنقى بدين سأظل ما حييت أذكره له .

اتسعت عيناها بنظرة مندهشة وهى تتساءل بلهفة :

ـ كيف .. وما علاقة أبى بهذا الأمر؟!!

ابتسم برضا ، وفى عينيه نظرة ملؤها الشجن .. ثم قال :

ـ إنها قصة طويلة .. وأرجو أن يتسع صدرك لسماعها .. كما أرجو أن تتأملى أحداثها بعناية حتى لا تختلط عليك الأمور .

ـ لا تزيدنى حيرة أرجوك .

دار بنظرته فى عدة اتجاهات ، وكأنه يستدعى ذكريات الماضى .. ثم بدأ يقول بجدية شديدة :

ـ فى مرحله من مراحل عمرى كنت مفتونا بنفسى وبموهبتى ، ومنبهراً بعلاقاتى إلى حد الغرور .. كنت ثائراً على واقعى متمرداً ومخدوعاً بأحلام يقظتى .. واصلت الليل بالنهار فى نزواتى وشطحاتى الفنية ، وأذاد من إصرارى واستهتارى نفاق الآخرين من حولى بتشجيعهم وإعجابهم بأسلوب حياتى .. أصبحت لا أرى إلا بعيونهم ولا أستمتع الا بمجونهم .. تعددت زيجاتى وأنجبت منهن جميعا ، ودعانى غرورى وظنى اننى بذلك أحقق لهم بتصرفى هذا أغلى أمانيهن وطموحاتهن .. غابت الحقيقة عنى .. وتركنى الجميع كما ترين .. لا زوجات ولا أبناء .. ولا أصدقاء صادقين .. و ..

همهمت بحذر :

ـ وأبى !!

واصل مستطردا بحماس :

ـ منذ خمسة عشر عاما واجهت أول لحظة ضعف فى حياتى .. لحظه أدركت فيها ما كنت أتجاهل إدراكه أو كنت لا أتصور حدوثه .. لقد استقويت على صحتى وتعاليت على الليالى ، وتباهيت بما لدىّ من مقومات فأستعديت حاضرى واستهنت بغدى .. فكانت لحظة المرض .. كان الألم ينهش فى كليتى ويمزق أحشائى .. لا أحد يشاركنى أنين الصراخ إلا سكون الليل وخواء الوحدة.. والدك هو الوحيد الذى كان يتابعنى ويدبر لى احتياجاتى من ادوية أو طعامى من الخارج ، كنت أستعين به فى أى وقت من الليل أو النهار ، وكان دائماً بشوشاً وراضياً ولم يتذمر قط من كثرة اعتمادى عليه .. و ..

صمت للحظة راح يتفحص فيها وجهها .. ثم أردف قائلا :

ـ كنتِ انتِ فى التاسعة من عمرك تقريبا .. وكان والدك لا يناديك إلا بالدكتورة .. كان ذلك حلم حياته كلها .. وعندما اشتد بى المرض والألم أقر الأطباء ضرورة نقل كلية بديلة عن كليتى المريضة .. بحثت كثيراً وانتظرت طويلاً .. وتحولت حياتى إلى عذاب مزمن يفوق كل الاحتمال .. وذات ليلة فوجئت بعم فريد يقترح علىّ بإصرار أن يتنازل عن إحدى كليتيه لى . وكأن يد القدر قد مدت إلى بطوق النجاة والخلاص من ذلك العذاب الذى قهرنى .. كان لوالدك شرط وحيد أصر عليه بإرادة قوية وهو ألا يعلم أحد من أسرته بما اقترحه ويرغب فى تنفيذه .

غاب مع ذاته لعدة لحظات وكأنه يسترجع ذلك الموقف ، وقد بدا عليه ملامح التأثر الشديد .. ثم تحول إليها بنظره ، واستطرد وكأنه يحدث نفسه :

ـ توحدت الرغبتان .. هو يريد أن يكمل رسالته معك .. وأنا أريد أن أواصل حياتى بلا ألم . واستطعنا أن نخفى الأمر عن الجميع بادعائه ضرورة علاجه من بعض الأمراض وهو ما يتطلب تواجده بالمستشفى .. وأحمد الله أن العملية نجحت وأصبحت أعيش حياة عادية دون ألم ، وهو استطاع أن يقطع رحلة طويلة على طريق تحقيق حلم عمره ، إلى أن اختطفه الموت فجأة .. وكانت تلك اللحظة من أكثر لحظات حياتى حزنا عليه .

شعرت ريم وكأنها فقدت بصرها فجأة بعدما غشيت الدموع مقلتيها وراحت تنذرف كالنزيف وهى صامتة لا تستطيع السيطرة على رجفة شفتيها ، بينما طأطأ هو رأسه قليلاً وهو ينظر إلى لا شىء ، عامداً ألا يتدخل فى محاولة تهدئتها وذلك تقديرا لذكرى عم فريد العطرة وجاهد بكل قواه ألا تنفلت مشاعره هو الآخر فيشاركها البكاء الصامت .

امتزجت المشاعر وتداخلت ، وفرضت الذكريات نفسها على الواقع للدرجة التى أنهت تأثيره وأصبحا وكأنهما بلا حاضر .. كادا أن يستشعرا صورة عم فريد وقد تجسدت من جديد وتشاركهما هذا اللقاء فى لحظة من لحظات عالم الغيب والمجهول.

ـ اغفرى لى يا ريم .. أننى فاجأتك بتلك الحقيقة .. ولكنى كنت مضطراً لذلك عندما لاحظت نظرة الإحباط واليأس فى عينيك .. وخشيت أن تؤثر فيك الأحداث التى مضت عليك .

أجابت بصعوبة :

ـ أنا تائهة .. أشعر وكأنى أسبح فى الفضاء ولا مستقر لى .

قال بحسم :

ـ للأسف الواقع لا يأبه بالضعفاء .. فلا حقوق ولا طموحات ، ولا أمانى أو رغبات لأى إنسان لا يملك مقومات القوة ، سواء بالمال او التميز او بالإرادة .

قالت بنبرة حزينة :

ـ أنا لا أملك شيئاً من كل هذا !!

أجاب مسرعاً:

ـ بل تملكين ما هو أكثر من ذلك .

رمقته بنظرة حائرة .. فأردف قائلا :

ـ تقديسك لذكرى أبيك .. وحبك له .. وتقديرك لما فعله من أجلك سيمدك بكل ما تفتقدينه الآن فى تلك اللحظة .

تساءلت بيأس :

ـ كيف ؟!!

ـ عندما تتغطرس الأحداث ويكشر الواقع عن أنيابه لأى إنسان يجب عليه أن يتحايل ويتحامل على نفسه ، ويقدم بعض التنازلات غير المسيئة له إلى أن يعبر مرحلة الضعف .. تماما كالمريض الذى يستكين لأوامر اطبائه حتى يشفى مهما تحمل مرارة الدواء وأسلوب العلاج.

قالت بطيبة :

ـ لا أفهمك يا أستاذ عمرو.

ـ أقصد أنه ليس بالضروره ان يكون اختيارك بناء على رغبتك الحقيقيه ، المهم ان تحققى اهدافك من خلاله .. و ..

سكت برهه ، وازدرد ريقه وكأنه يبحث عن وسيلة مناسبة لكى يخبرها بأمر ما .. ثم استطرد قائلا :

ـ بالمناسبة مالك العقار أمهل شقيقك محمود أسبوعا لكى يترك الجراج ..

وعلى غير المتوقع ارتسمت ابتسامة بلا معنى فوق شفتيها قبل أن تقول :

ـ أنا لا أنتظر من واقعى غير ذلك !!

قال بلا تمهيد :

ـ انتِ مرهقة الآن .. هيالأعيدك إلى منزلك .. وغدا سيكون أمامنا فرصة أكبر لأطرح عليك تصور للإختيارات التى كنت أقصدها .

فاجأته قائلة :

ـ دعنى أعود بمفردى ..فأنا فى حاجة لأن أختلى بنفسى قليلا .

بلا وعى أو تردد وضع يده فى جيبه ليمنحها بعض المال ، ولكنه ما كاد يفعل حتى انسحبت يده مرة أخرى أمام نظرتها إليه التى ترجمها سريعا وكأنها تستصرخه بألا يدمر مشاعرها تجاه مواقفه النبيلة السابقة معها فتراجع بارتباك وقال مضطرباً:

ـ إذن سأراك غداً.

و .. تركها منصرفا .

كانت بالفعل لا تملك نقودا ، فما تبقى معها تركته قهرا فى مسكنها بالجراج عندما سقطت مغشيا عليها .. فهى رفضت منه الإحسان ولكنها تقبل المعروف ..لم تشعر بلهيب أشعة الشمس وهى تسير بقدميها على الطريق وسط الآخرين ، بدت مستسلمة تماما لذكرياتها مع أبيها .. كيف كان حريصا كل الحرص على تنفيذ متطلبات رحلتها التعليمية ، وكيف تخلى عن قطعة من جسده من أجلها ومن إجل حلمه الكبير .. راودها خاطر مثير

وهى وسط الزحام بأنها سوف تلتقى به ليأخذ بيدها كما كان يفعل منذ نعومة أظافرها.

سيطر الإعياء عليها تماما بعد أن قضت قرابة الساعة والنصف وهى هائمة من طريق إلى آخر حتى وصلت إلى الجراج وهى تكاد تزحف بخطواتها فى حالة أقرب إلى السقوط على الأرض .

وجدت شقيقها محمود يجلس منزويا وهو يضع رأسه بين كفيه ، وعندما شعر بقدومها رمقها بنظرة سريعة ثم عاد الى وضعه السابق دون أن يتفوه بحرف واحد .. اقتربت منه وتساءلت بنبرة منهكة :

- هل حقا سنخلى الجراج خلال أسبوع ؟

هز رأسه دون أن ينظر إليها مؤكدا على كلماتها ، وما كادت تستدير فى اتجاه غرفتها حتى تصلبت خطواتها فى مكانها عندما فوجئت بمن يناديها بصوت مرتفع :

- ريم .. ريم.

وجدت نفسها وجها لوجه أمام صديقتها وزميلة العمل السابق سامية لطفى التى أسرعت إليها بلهفة وهى تردد :

- ريم يا حبيبتى .. حاولت أن ألحق بك فى سراى النيابة ولكنى علمت بانصرافك .. كيف حالك الآن يا صديقتى ؟!!

ظلت صامتة لعدة لحظات فى محاولة منها لاستعادة توازنها من شدة المفاجأة .. ثم همست على استحياء :

- كيف علمتِ بما حدث ؟!

التفتت سامية فى اتجاه محمود .. ثم عادت لتقول :

**-علمت من أخيك عندما حضرت الاسبوع الماضى للسؤال عنك..و..**

حاولت أن تخفف عنها وطأة الموقف وأردفت مسرعة بنبرة مازحة كعادتها :

- هل سنظل واقفن هكذا .. أرجوك أرحمى كتلة الشحم التى فوق عظامى .

أدارت ريم رأسها فى عدة اتجاهات وفى عينيها بدت الحيرة واضحة وأثناء ذلك تحرك محمود من مكانه وأحضر مقعداً خشبياً مستطيلاً يسمح بجلوسهما معا متجاورتين ، ثم عاد إلى مكانه مكتئباً فى صمت .

قالت سامية:

- أعرف أن الظروف لا تسمح بأية حوارات بيننا الآن .. فالإرهاق واضح عليك .. ولكن .. لولا إلحاح الاستاذ أحمد فهمى ما كنت ..

قاطعتها بانزعاج حقيقى :

ـ أحمد فهمى .. هل .

أسرعت قائلة :

ـ لا .. لا فهو لا يعرف شيئاً .. كل ما فى الامر انه كان دائم الاتصال بك فى المستشفى أثناء سفره .. ثم فوجئت بعودته منذ أيام وأصبح يوميا تقريبا يلح على رؤيتك حتى اصبحت عاجزة عن طرح أية مبررات أخرى لعدم وجودك ، وخشيت أن يعرف عنوانك من المستشفى ويحضر إليك بنفسه .

همست وكأنها تحدث نفسها :

ـ أحمد فهمى .

عادت سامية لطفى تقول بحذر :

ـ سأتركك الآن يا ريم .. ولكن .. عندى رجاء أرجو أن تحققيه لى !!

أشارت برأسها مستفسرة ثم همست مره ثانية :

ـ ماذا تريدين يا سامية ؟!

أجابت مسرعة وهى تمد إليها بجهاز الموبايل :

ـ اتصلى بالأستاذ أحمد .. لكى يطمئن عليك .. فهو لن يتركنى إذا لم تفعلى ذلك .. وأنا متأكدة أنه سيواصل إلحاحه.

أجابت بكلمات تترنح أحرفها فوق شفتيها :

- سأتصل بك وأحدد له موعداً الأسبوع القادم لكى نلتقى .. و ..

نهضت بتثاقل بعد أن شعرت بالدوار يفاجئها ، فاضطرت سامية أن تقف هى الأخرى ، واحتضنتها برفق قبل أن تنصرف مرددة:

- عهدى بك أنك قوية .. وأنا على يقين بأنك ستجتازين أزمتك .

وما إن استقرت ريم فوق فراشها حتى تناوبت عليها هواجس الأحداث الماضية فى حالة من الاضطراب والتشابك واللاوعى أيضاً.

نهار كالليل !!

الشمس ساطعة فى الخارج ، والقتامة وظلمة الحيرة مستقرة فى أعماقها .

رددت مع نفسها :

.. عن أى أزمة تتحدث سامية؟!!

فما أقسى أن يفرض الواقع أحكامه على الإنسان ويجعله غير قادر على اتخاذ أى قرار بعد أن يسلبه حق الاختيار .

كيف تتعامل مع حاضرها وهى بلا أمل فى الغد وبلا سند ولا مأوى ؟

## ٧

فى غفلة من سطوة الواقع وعناد الزمن ، شعرت ريم بحاله أشبه بالأمل وهى فى طريقها للقاء أحمد فهمى .

هى لم تجد تبريراً لذلك الإحساس الذى أعلن عن تواجده فى وجدانها بقوه منذ اللحظة الأولى التى رأته فيها بالمستشفى .

وهو أيضاً لم يكن على استعداد للتنازل عن ذلك الشعور الهادر الذى لازمه طوال فترة غيابه الأخير ، فلقد كان أكثر وضوحاً وجرأة مع نفسه ، وترجم إحساسه نحوها منذ أن رآها فى المرة الاولى ، مدركاً بأن كف القدر قد بسط أنامله ومنحه هبة الحب الذى تمكن من أعماقه تماماً ، وأصبح غير قادر ولا راغب فى التخلص منه .

كان اللقاء بينهما كتلامس خيوط الفجر مع لحظة الشروق .. كلاهما حاول أن يذيب الآخر فى نفسه دون استقواء أو استعلاء.. فقط من أجل رغبتهما فى التوحد .

بدت ريم وكأنها تستجدى الزمن بأن يساندها فى أن يعجل بمنح الفرصة لأحمد فهمى لكى يبوح لها بمشاعره نحوها فهو يمثل بالنسبة لها طوق النجاة بحق من كل خبايا القدر .. كانت تلاحقه بنظراتها الصامتة ، وتترقب بشغف كبير مبادرته بحديث المكاشفة عما يرغب فيه ويلح عليه .

بينما راح هو يتنقل من حديث إلى آخر فى مواضيع مختلفة . وكأنه يبحث عن ملاذ يحتمى به من مخاوفه إزاء رد فعلها إذا ما صارحها بما استقر فى وجدانه من مشاعر نحوها .

أخيراً استجمع شجاعته وبادرها قائلاً:

ـ لدىً رجاء عندك أرجو ألا ترفضيه .. بالرغم من علمى أنه ضد مبدئك !!

رمقته بنظرة مستفسرة.. ثم فوجئت به يمد إليها بصندوق كرتونى صغير الحجم وبداخله جهاز موبايل .. وأردف :

ـ هذا الجهاز سيضع حداً لمعاناتى الشديدة، عندما أريد محادثتك.

ترقرقت ابتسامة جميلة فوق شفتيها ، مما زاد من جرأته وعاد يقول بنبرة ملؤها السعادة :

ـ لا أعرف كيف أصف لك حالتى عندما فشلت فى الاتصال بك أكثر من مرة . وعندما عدت من السفر كان أول تصرف أفعله هو ذهابى إلى المستشفى لألتقى بزميلتك سامية .. و ..

ابتلع ريقه فى محاولة لاستعادة توازنه والتحكم فى حماسه الجارف .. ثم قال :

ـ لقد تيقنت أننى أعيش لحظة صدق حقيقية .. وأخشى ما أخشاه أن تكون هذه المشاعر تخصنى وحدى وغير متوائمة مع مشاعرك .

قالت وهى محتفظة بابتسامتها الهادئة :

ـ لم أعتد على قبول هدايا من أحد .. خاصة أننى ضد استعمال الموبايل .. ولكن ..

توقفت برهة عن الكلام وهى تدور بنظرتها فى غير اتجاه محدد ، وكأنها تبحث هى الأخرى عن وسيلة لكبح جماح ما تستشعره فى أعماقها .. ثم استطردت قائلة :

ـ ولكن للضرورة أحكام .. فأنا أيضاً تمنيت كثيراً التحدث معك .

فاجأها قائلا بصدق:

ـ أحبك يا ريم .. وأشعر بأن الأقدار قد كافأتنى بهذا الحب لأننى انتظرتك فى خيالى طوال سنين عمرى .

أحست بنبضات قلبها تفترش كيانها كله ، حتى كادت تسمع صداها فى أذنيها وغشيت حمرة الخجل بشرة وجهها وهى تسقط نظرتها إلى لا شىء محدد ولم تعد قادرة على النطق بحرف واحد .. بينما أستسلم أحمد فهمى لسلطان عاطفته ، وواصل كلماته قائلاً :

ـ هل تقبلين الزواج منى يا ريم ؟!!

وكأنها فى حلم جميل استيقظت منه فجأه .. تماماً كلحظة برق تسطع وتخبو قبل أن يتبينها البصر .. شردت بذهنها فى مواجهةواقعها المضطرب ، فهو لا يعلم شيئاً عن حياتها .. هاجمتها تساؤلات كثيرة بعضها أكثر شراسة من قدرة تحملها .. فماذا ستقول له ؟ .. وما هو موقفه لو عرف كل الحقيقة ؟!

كادت أن يغشى عليها عندما فاجأها قائلاً:

ـ أنا أعرف ما يدور بخلدك الآن .

نظرت إليه بذهول دون أن تعلن .. فأردف يقول :

ـ أنتِ أمامك عام او عامان للانتهاء من دراستك ولذلك سأترك لك الخيار .. فإما أن نتمم زواجنا وتواصلى دراستك ونحن معاً.. أو نعتبر تلك الفتره كخطوبة بيننا .. فأنت وما تشائين يا ريم .

قالت بصعوبة :
ـ هناك ظروف يجب أن تعرفها عنى أولا .. و ..
قاطعها بلهفة :
ـ أنا لا يهمنى غير موافقتك فقط .. وعلى استعداد للذهاب إلى أسرتك الآن وأتقدم للزواج منك فوراً .
مرقت فى خاطرها صورة اخيها سعيد وهو بملابس السجن ، وأيضاً محمود الغائب الحاضر، وكأنه فى حالة توهان دائمة ،

وكذلك الأريكة الخشبية التى خلعت عليها اسم غرفتها تجاوزا .. كما تذكرت موقف مالك الجراج الأخير .

وقبل أن تنبس بكلمة واحدة ، سارع مستطرداً بحماس :

- جميع أفراد عائلتى ، وبالأخص شقيقتى ينتظرون موافقتك .. لأنهم يعلمون جيداً اهمية ذلك الأمر بالنسبه لى .

أجابت بنبره منخفضه :

- موافقتى مرتبطه بموقفك بعدما أخبرك بكل شئ عن حياتى .

ابتهجت ملامحه وقال بسعاده طفوليه :

- مهما كان الامر .. فمن الآن حياتك هى حياتى .. ودعينا نتصرف بطريقة عملية .

تساءلت بدهشة :

- كيف .. وماذا تقصد ؟!

أسرع يقول :

- تأتى معى الآن لأريك شقتنا الجديده التى اشتريتها قبل سفرى ..وإذا لم تنل إعجابك سوف أستبدلها بأخرى فوراً .. هى قريبة من هنا .. فى منطقة الدقى .

صمتت غير معترضة ، فازداد تحمساً وهو يردد قائلاً :

ـ هيا بنا الآن يا ريم .. فالليالى تفتح احضانها لنا وأريد ان أسعد بعمرى .. لأنك عمر عمرى .

بدت كالمسحورة وهى تجلس بجواره فى السيارة .. ظلت صامتة طوال الطريق ما بين التقاط بضع كلمات من حواراته المتلاحقة وبين شرود ذهنها وإحساسها بالخوف من المجهول .

وبالقرب من ميدان الدقى ، اندلف بسيارته داخل جراج كبير أسفل إحدى ناطحات السحاب التى تجاوزت العشرين طابقاً .. توقف المصعد بهما فى الدور الثامن عشر وتقدمها أحمد فهمى بخطوة فى اتجاه الشقه ، ثم التفت إليها قائلا بعد أن فتح الباب :

ـ تفضلى يا أجمل عروسة فى الدنيا .

ومن الوهلة الأولى لدخولها شعرت ريم أنها تقف وسط ساحة شاسعة وزاد من إحساسها بذلك عدم وجود أثاث بالمكان ، مما منحها انطباعاً مؤثراً بأنها وسط أحد الميادين المهجورة التى لا بشر فيها .. اقتربت من النافذة العريضه وأطلت منها تستطلع البانوراما الرائعة من موقعها حيث راودها إحساس بأنها تحلق فوق القاهرة بأكملها .

قال بسعادة :

ـ لقد تركت أمر الأثاث لك ..فهى فى النهاية مملكتك يا أميرتى.

تنفست يصعوبة قبل أن تهمس قائلة :

ـ أنا مصرة أن تسمعنى أولاً قبل أن أبدى موافقتى على طلبك .

بدا قلقا وهو يجيبها :

ـ هل الأمر خطير إلى هذه الدرجة .. ام أنك مترددة .. أو ..

أطلق زفرة من صدره ثم أردف :

ـ هل هناك شخص آخر فى حياتك .. و ..

قاطعته بسرعة :

ـ لا .. لا .. فأنا أيضاً أتمنى أن تجمعنا الأقدار فى حياة مشتركة حتى آخر العمر .. ولكن .. لست أدرى لماذا دائما أشعر بعدم ثقتى فى الأيام .. ولهذا أكتم سعادتى .. فأنا ..

تدخل قائلا بلهفة وصدق :

ـ كيف تقولين هذا؟! .. فأنا لا أتخيل أن ملاكاً مثلك يمكن أن يسيطر عليها إحساس بالتشاؤم أو الخوف ..

ـ يا أحمد .. أنا حياتى أشبه بالميلودراما الانسانية .. كافحت كثيراً وتحملت عناد الليالى أكثر من طاقتى .. تحديت واقعى وقاومت كل العقبات التى واجهتنى من أجل تحقيق أهدافى وأحلامى .. ولكن بوفاة والدى شعرت لأول مرة بأننى أضعف بكثير عما كنت أدعيه لنفسى .

ظهرت علامات التأثر الشديد على ملامحه ، وهو يسترق السمع بشغف ثم بادرها قائلاً بحب :

- أعتذر لك .. لأننى لم أكن أعلم أن والدك متوفى .. ولكن كل ما أستطيع أن أوكده أننى سأكون لك زوجا وأباً وأخاً ، وسأسخر كل إمكاناتى لكى أحقق لك إحلامك .. بل هى أحلامنا أنا وأنت وستثبت لك الأيام صدق كلماتى .

تنهدت بعمق وكأنها تنفض عن صدرها بعضاً من همومها لكى تتمكن من التنفس .. ثم عادت لتقول :

- من أجل هذا أنا لازلت على إصرارى بأن أخبرك بكل شىء .

قال بطيبة :

- إذا كان هذا سيريحك ويرضيك ، فهيا ننصرف إلى أى مكان نجلس فيه لكى تخبرينى بكل شىء كما تريدين .. و ..

هبط بهما المصعد مرة ثانية ، وتقدمها هو بعدة خطوات مندلفاً إلى الجراج ليأتى بسيارته بينما وقفت هى تنتظره عند الباب الخارجى كما طلب منها .

وفى لحظة بدت وكأنها من خارج حسابات الزمن ، مثلما تثور الطبيعة فجأة وتخلع رداء المنطق فتكفهر السماء وتعربد بسيولها ورعدها وبرقها وتتوارى الشمس وراء ضباب الغضب ،

وتنفجر الرياح كالبراكين لتكتسح كل ما فى طريقها لتترنح الأشجار .. و .. تموت الزهور .

فوجئت ريم بالضجيج وبأصوات واردة من داخل الجراج ما بين كلمات تحمل معانى التوبيخ والسباب صادرة من أحمد فهمى واعتراضات حذرة واستعطاف مهين من البعض الآخر .

اقتربت بعدة خطوات لتتبين الموقف .. وجدت أحمد فهمى وهو فى قمة ثورته يقف وسط العاملين بالجراج ويكيل لهم أبشع الألفاظ واحط المعانى ، وقد باءت كل محاولاتهم لتهدئته بالفشل .. رأت صورة مغايرة تماماً عن صورته .. وكأنه انسان آخر لم تلتقى به من قبل .. كان عنيفاً لدرجة الافتراء ، وقاسياً بلا رحمة وهمجيا بلا تهذيب .

و.. اندفع بسيارته إلى الخارج ثم توقف للحظات لكى تستقل بجانبه وهو لا يزال يزمجر بغضب مردداً:

- هؤلاء الكلاب لا يستحقون أية معاملة حسنة ..إنهم يفسرون الطيبة بالضعف .. بالرغم من أننى فى منتهى السخاء معهم ومع أطفالهم و ..

التفت نحوها وهمس فى محاولة لاستعادة اتزانه :

- أنا آسف يا ريم .. ولكنهم أخرجونى عن شعورى .

لم تعلق وهى تنظر إليه صامتة فى ذهول .. فاستطرد قائلاً:

ـ تصورى وجدت أطفالهم يعبثون بالسيارة ويجلسون فوقها ، كما أن أباهم لم يفكر فى تنظيف زجاجها كما أمرته .. لا أمل فى هؤلاء وأمثالهم .. فالبيئة التى قدموا منها تظل راسخة فى وجدانهم مهما انتقلوا إلى حياة المدن المتحضرة .

شعرت بقلبها وكأنه تحول إلى قطعة من اللهب وبصدرها يطبق فوق رئتيها إلى حد الاختناق .. وجف حلقها وخيّل اليها أن شفتيها قد تشققت بعد أن تبخر الدماء منها .

وبصعوبة بالغة استطاعت أن تقول كالهمس :

ـ من فضلك أنزلنى عند ناصية الطريق .

تساءل منزعجاً :

ـ لماذا .. ألن نذهب لنتحدث كما أردتِ ؟!!

أجابت بسرعة :

ـ لا .. أقصد لقد تذكرت موعداً شديد الاهمية بالنسبه لى .. ويجب أن أذهب الآن .. فوراً

توقف بالسياره عند المكان الذى أشارت إليه .. ثم توجه إليها بعد أن عادت ملامحه للاسترخاء وتساءل بهدوء :

ـ إذن .. متى سأراك ، على كل حال سأتصل بك ونحدد الميعاد الذى تقررينه .. و ..

وهبطت من السيارة مسرعة ، وكأنها تنجو بنفسها من ذلك الإعصار الذى فاجأها ، وابتعدت بخطواتها دون أن تنبس بحرف واحد وهى تهمس إلى نفسها مرددة :

.. تراه يقصدنى أنا ؟!!

## ٨

اليأس .. يفجر الطاقات !!!

فبالرغم من أنه يمثل حاله نفسية شديدة السلبية ، قد تخضع صاحبها لسيطرة ودوامات الإحباطات التى تؤدى فى النهاية الى تعميق الرغبة اللاإرادية فى التخلص من حالة الإحساس بالعجز ، بأى صورة من الصور المدمرة ومهما كان الثمن . إلا أنه فى بعض الأحيان يكون سبباً مباشراً فى انفجار شحنات متنوعة من الجرأة والمجازفة داخل أعماق كل من وقع فريسة لذلك الداء ، بمنطق عدم جدوى المقاومة ، وبأن لا قيمة لأى شىء فى حياة البائس .

هكذا توّلد ذلك الدافع فى أعماق ريم فريد وهى تدق باب عمرو كامل فى لحظة استثنائية من حياتها ، بعد أن استسلمت لقرارها الجرىء والقهرى بأن تتخلى عن كل شىء ارتبطت به فى الماضى كما تخلى عنها الحاضر .

لحظة تمرد فى حياتها استنبطت كياناً ووجداناً آخر مختلفاً تماماً عن طبيعتها ، فقررت أن تعلن عن هزيمتها بكبرياء مزيف وأن تستسلم لأحكام الواقع دون مقاومة ، بعد أن أدركت أنها لا تملك القدرة ولا الفرصة أيضاً .

لم تنتظر أن يسمح لها بالدخول عندما انفتح الباب أمامها ، ودخلت كما لو كانت تقتحم المكان .

قالت بميوعة متعمدة :

ـ آسفه تأخرت عليك .. جئت وأنا مستعدة لكل الخيارات التى تود أن تبلغنى بها .

تردد برهة قبل أن يتحدث إليها ، وهو يرمق ساعة الحائط بنظرة سريعة كانت تشير للعاشره مساءً ، ثم التفت نحوها أثناء جلوسه أمامها قائلاً:

ـ هنا منزلك فى أى وقت تشائين .

قالت بسرعة وكأنها تؤدى مهمة تريد أن تنتهى منها :

ـ هذا يتوقف على رغبتك !!

بدأ يستشعر التغير الذى طرأ عليها ، وانشغل عنها لعدة لحظات وهو يشعل السيجار المعتاد الخاص به .. وتساءل بتوجس :

ـ ماذا بك يا ريم ؟!

ـ لا شيء .. أكثر من أننى اقتنعت أخيراً بأن الإنسان مهما كانت عزيمته فهوأضعف كثيراً جداً من إرادة الأمر الواقع .

تفحص وجهها قبل أن يقول :

ـ الواقع من صنع الإنسان نفسه .. و ..

قاطعته بجرأة :

- يؤسفنى أنك تقول معلومة خاطئة !!

حاول أن يبتسم ليخفى انزعاجه .. ثم قال :

- اذن أفيدينى بالمعلومة الصحيحة .

أجابت بنبرة جادة :

- هل أنا التى صنعت واقعى ، عندما نشأت وسط أسره تعيش أسفل طوابق السادة .. وأب تجرّأ وأستجاب لطموحاته وهو لا يملك قوته اليومى .. ومشاعر الغيرة التى تحولت بالتدريج إلى سموم الحقد ، الذى استقر فى وجدان أشقائى رغما عنهما .. هل أنا التى صنعت ذلك الواقع الذى أوقفنى فوق الرمال المتحركة .. أنا لم أحلم بشىء ولم أسع لشىء ولم اعتدِ على أحد .. الخطيئة الوحيدة التى ارتكبتها هى اننى خدعت نفسى ولم أنتبه للحقيقة الماثلة أمامى وهى أن أنات الفقراء ليس لها صدى ..ولن يكون!!

كان يضغط على نواجذه وهو يسترق السمع باهتمام شديد ، وقد اختلطت فى أعماقه المشاعر ما بين الدهشة والحيرة ، والمفاجأة والإشفاق .. ثم تململ قليلا قبل أن يبادرها قائلا :

- أشعر وكأنك تلقين بالمسئولية على أبيك ، بالرغم من أنه كان حسن النية ولم يكن يتصور أنك سوف تعانين من ذلك .

قالت بإحباط شديد :

ـ الواقع لا يعترف بالنيات ولكنه يحترم الإمكانات !!

قال بتأثر وصدق :

ـ مسكين عم فريد .. لقد ناله الظلم منك .. فما ذنبه إذا كانت ظروفه المادية لم تسعفه أو ..

قاطعته بلهفة :

ـ لا يمكن أن أظلم أبى لأنه كان فقيراً ... فهو فى نظرى على الأقل أعظم أب فى الوجود .. ولكنى عاتبة عليه لأنه لم يتبين طبيعة الدنيا على حقيقتها ..والإحساس بالظلم يعتبر نسبياً فى النهاية.. والدليل على ذلك موقف ابنائك منك .. فالانتماء لا يفرق بين الفقراء والأثرياء .. وأعتقد أن جميعكم يشملكم الإحساس بالظلم .. أليس كذلك .. و ..

أحست بأنها قد لامست الجرح فى اعماقه عندما لاحظت أسارير الاكتئاب قد افترشت ملامحه فجأة .

فسارعت تقول مرددة بارتباك :

ـ أنا آسفه .. أقسم لك أننى لم أكن أقصد إيذاء مشاعرك .

جذب ابتسامة هادئة على طرف شفتيه بصعوبة .. ثم قال بنبرة كالهمس :

ـ لا تتأسفى .. فإنها الحقيقة على ما يبدو .

أرادت أن تخرجه من الحالة التى أصبح عليها ..فقالت بإصرار:

ـ لم تطرح علىً الاختيارات حتى الآن !!

اتسعت ابتسامته وهو يجيبها معلقاً :

ـ ذكاؤك يزيد من إعجابى بك .

قالت بدلال يفجر أنوثتها :

ـ سأستعين بالغباء لعدة لحظات .. و .. أكرر سؤالى مرة ثانية !!

أشعل سيجاراً جديداً وهو يصب لنفسه كأساً ، و كأنه يستنجد بأية وسيله تمنحه قدراً أكبر من الشجاعه ليواصل حواره معها .. ثم عاد يوجه حديثه لها قائلاً :

ـ الحياة الدنيوية لا تمنح الإنسان كل ما يتمناه .. فذلك درب من المستحيلات.. وعادة ما تتفاوت الفرص بين الناس .. فهناك ما يحقق له أكبر قدر من الأمنيات ، وغيرهم قد يحصلون على فتات رغباتهم .. هكذا الدنيا .. وحياة الإنسان هى رحله محددة تتخللها المقايضات والتنازلات والإخفاقات والنجاحات .. وفى النهاية الجميع يخضع لأحكام الأقدار .

قالت بلهفه :

ـ وأنا آمنت بذلك .. المهم أن .

قاطعها وهو يقف مبتعداً بخطوتين وكأنه يتجنب مواجهتها .. ثم أردف :

ـ سأطرح عليك بعض الاختيارات .. لكن .. أرجوك لا تفهمينى خطأ ولا تغضبى منى إذا لم يرق لك ما سوف أقترحه عليك .

ظلت تنظر إليه وهى صامتة ، ولكنها راحت تحدث أعماقها :

.. تفوه .. انطق وقلها .. أنا أعلم أنك تريدنى زوجه لك .. وأنا موافقة على قرارك .. فلا ترهقنى وقل ما تريد الآن .. و ..

همست إليه بخبث وبنبرة منخفضة :

ـ لماذا تتوقع غضبى عندما تخبرنى باختياراتك .. وما أدراك فربما يكون ما ستقوله هو رغبتى بالفعل !!

أجاب بتردد وحذر :

ـ اتعلمين أن فتحى العقبى لا يكل ولا يمل من الحديث عنك !!

عادت تهمس الى أعماقها مرددة :

.. ألن تكف عن المراوغة .. تكلم يا رجل .. أم تنتظر أن أفرض نفسى عليك .. تكلم أرجوك ، فأنا ظروفى لا تسمح بتلك المناورات .. قلها ولا تخف وستجدنى فى أقل من ثانية واحدة طوع أمرك .. و ..

قالت باستكانه :

- لا تبتعد عن الموضوع أرجوك .. فظروفى تتطلب منى اتخاذ قرار فورى بلا تلكؤ.

قال بكلمات سريعة ومتلاحقة :

- بصراحة فتحى العقبى ألمح لى أكثر من مرة بأنه يرغب فى الزواج منك فى مقابل أن يجعلك من نجمات السينما العربية .. و .. وهو أيضا تقريبا يعرف كل شىء عن ظروفك بحكم مجيئه المنتظم هنا .. وأعتقد أنه حل مناسب لكل مشاكلك .

طفرت خيبة الأمل على كل ملامح وجهها ، وشعرت بالإحباط يسقطها من أعلى قمة أحلامها وتوقعاتها . فهى لم تتوقع قط أن يتخلى عنها عمرو كامل بهذه السهولة بعدما أفرط سابقاً فى الاهتمام بها ومساعدتها بحماس .

عاد مستطرداً بجدية :

- هذا مجرد اقتراح .. وأنت فى النهايه صاحبة القرار .. و .. أنا معك فى أى شىء تتخذينه.. فأنت ..

قاطعته بنبرة حزينة ويائسة :

- يبدو أننى شردت بخيالى بعيداً .. وكنت أتصور أنك تحمل لى مشاعر تعبر عن حقيقة تصرفاتك معى .

التفت نحوها وتساءل بدهشة :

ـ لا أفهم مقصدك .. هل أنا قصرت فى شىء معك ؟!

نهضت بهدوء واتجهت نحو أحد الكؤوس لتصب لنفسها مما يشرب منه . ولكنه أسرع إليها وأمسك يدها وهو يردد منزعجاً بصدق :

ـ ماذا تفعلين ؟ .. فأنا لا أحب أن أراك فى هذه الصورة .

سحبت يدها ببطء .. ثم رفعت رأسها لتنظر إليه قائلة :

ـ لعل تلك الوسيلة تمنحنى الشجاعة لكى أستطع مواصلة حوارى معك .

قال بثقة :

ـ الصدق هو وحده الذى يمنح الإنسان الشجاعة للتعبير عما يريده .

قالت بلا تردد :

ـ كثيراً ما كنت أتساءل مع نفسى عن سر إحساسى بالحنين دائماً لرؤيتك .. وأتساءل أيضاً عن سبب ارتياحى الشديد كلما اقتربت منك ..إلى أن صارحتنى أنت بحقيقة ما حدث مع والدى .. فى هذه اللحظة وجدت الاجابة عن كل تساؤلاتى ، وادركت أن السبب هو وجود جزء من جسد أبى ينبض فى كيانك ..

فأصبحت أنت بالنسبة لى مصدر الحنان والأمان دون التزام منك .. و ..

تأملته بجرأة قبل أن تردف قائلة :

ـ قد تدهش من كلماتى .. ولكنها الحقيقة والصدق .. فأنا لدىّ أكثر من فرصة لكى أغيّر من حياتى تماماً ، ولا أبالغ إذا قلت لك إننى فى هذه الحالة سيمكننى تغيير واقعى إلى مستوى لم أكن أحلم به يوماً .. والدليل على ذلك هو ....

وراحت تسرد عليه بحماس شديد كل شىء عن حياتها الخاصة ، وعن العروض والاغراءات التى انهالت عليها من أكرم صدقى وأحمد فهمى وغيرهما .. ولكنها لم تستجب لأسباب كثيرة منها تحمسها لمبادئها وأخلاقياتها وصونا لكرامتها وعزة نفسها .. وأيضاً أنه كان أحد الاسباب دون أن يدرى هو نفسه .. و ..

وواصلت كلماتها بانفعال ينبض بالشجن :

ـ أنت الوحيد الذى لم يطلب منى مقابلا .. وأنت الوحيد الذى لم يشعرنى ولو للحظة أننى مثيرة للشفقة .. بل أنت الوحيد الذى كان عطاؤك يمثل عطاء الأب وسمو مشاعر المحب الصادق .. عطاء القوة والترفع تماماً كالنيل والشمس والهواء .. بلا أغراض أو مقايضة .

و .. كاد رأسها ينفجر من هول المفاجأة التى باغتتها عندما انتبهت لعينيه اللتين اغرورقتا بالدموع بصورة مفاجئه لم تكن تتوقعها منه هو بالذات ، فهى عرفته قوياً وشامخاً ومتزناً وحكيما ، وكأن مثله لا ينبغى أن يستسلم لأية لحظة ضعف مهما كانت أسبابها

تساءلت بهلع حقيقى :

ـ أنت تبكى .. كيف ولماذا ؟!!

جلس وكأنه يتهاوى فوق مقعده ، ثم أشاح بوجهه بعيداً عن عينيها قبل ان يقول بصوت متحشرج :

ـ لم أكن أرغب ولا أتمنى أن اضطر لمواجهة تلك اللحظة التى جاهدت كثيرا أن أخفى معالمها عن الآخرين ... وعنك بصفة خاصة .

همست بحنان بعد أن استعادت هدوءها :

ـ أشعر بأن فى أعماقك بركاناً من الحزن على وشك الانفجار .. وأظن ان من حقى عليك أن أشاركك أحزانك كما كنت تفعل معى دائماً.

أجاب بتؤدة :

ـ نعم من حقك .. وأعتقد أنه لا مفر من أن أخبرك بكل شىء .

و .. بدأ يكشف عن أغوار السر الذى تكتمه طوال السنوات الاخيرة

عندما أصيب بالمرض الخبيث وتوحش داخل مثانته ، وأصبح مضطراً للعلاج الكيمائى الذى دمر الكثير من خلايا جسده والتهم كل مدخراته المالية تقريباً وبات على حافة الفقر والاحتياج .. وهو ما دفعه لكى يسعى للموت قبل أن يسقطه المرض ويصبح فريسة لليالى الوحدة والعجز ، وبأنه يريد أن يموت واقفاً قبل أن يذوق مرارة المذلة وهوان القهر ، وكانت وسيلته هى الإفراط فى السهر وشرب الكحوليات والحياة غير المستقرة دون مراعاة لحسابات الزمن أو المنطق .. و ..

قاطعته برفق :

- وأبناؤك .. كيف لم تخبرهم بحالتك تلك .. وكيف لم تخبرنى أنا على الأقل ؟!!

قال والأسى يملأ نبراته :

- أبنائى .. لقد تخلوا عنى وهم فى اعتقادهم أننى لازلت بقوتى وثرائى.. فكيف أتوقع منهم غير ذلك وأنا فى مثل حالتى هذه .. و ..

صمت لعدة لحظات وهو يتأمل وجهها بحب واضح ثم استطرد قائلا :

ـ اما بالنسبة لك أنتِ ، فكنت أفعل المستحيل لكى لا أجعلك تفقدين آخر أمل لك فى الإنسان الذى يساندك فى الحياة من أجل تحقيق أهدافك وأحلامك .. وكما ..

ولكنها تتدخل مرة أخرى بتلقائية وإصرار :

ـ أما أنا فلن أبرح هذا المكان منذ هذه اللحظة .

اتجه بنظره إلى ساعة الحائط التى إشارت الى الواحدة بعد منتصف الليل ..

وقال باضطراب :

ـ الوقت متأخر يا ريم وقد سرقنا الزمن كعادته .. وعليك بالانصراف الآن وسوف نكمل حديثنا غداً .. و ..

عادت تقول بإصرار أشد :

ـ أخبرتك بأننى لن أبرح ذلك المكان .. ليس بصفتى ريم ابنة صديقك عم فريد .. ولكن بصفتى زوجتك .

اتسعت عيناه فى ذهول وهو يعقب قائلاً :

ـ ما الذى تقولينه .يا ريم .. فأنا ..

قالت بتحد :

ـ هذا هو اختيارى الأخير .. وأنت وعدتنى بأن تحقق لى ما أختاره برغبتى فقط .

ـ أرجوك لا ..

لم تدع له فرصة لاستكمال جملته .. وقالت :

ـ أرجوك أنت .. لا تتعمد إهانتى بعد أن فرضت نفسى عليك .

أجاب مستسلماً :

- على كل حال لن أستطيع مقاومة عنادك فى هذا الوقت المتأخر ..أنا سأدخل غرفتى وأغلق بابها .. وفى الصباح سنكمل حوارنا . واختارى لنفسك أية غرفة من الغرف الأخرى .

تعمدت أن تفرج شفتيها عن ابتسامة واضحة وهى تردد :

- أنا على يقين بأنه سيكون أجمل صباح فى حياتى .. لأننى لأول مره منذ سنوات طويله سوف أنام وأغفو بلا أرق ولا هموم .

و ..تركته واندلفت داخل إحدى الغرف بلا تحديد .

---

٩

كالغريب الذى يجد نفسه وسط أناس لا يعرف لغتهم ولا طبائعهم ، وهو فاقد لكل مقومات التعامل حتى بلغة الإشارة .. وكأنه سقط فجأه فوق صحراء جرداء لا نهاية لها ولا أمل له فى البقاء والنجاة .

هكذا كان أحساس أحمد فهمى بعد أن أفترسته الحيرة بقسوة شديدة وهو يبحث عن ريم فى كل مكان وعن مبرر منطقى لاختفائها المفاجئ .. موبايلها مغلق دائماً .. وصديقتها الوحيدة سامية لطفى فى إجازة استعداداً للزواج من خطيبها .. دفعه اليأس لأن يذهب إلى الكازينو الذى التقيا به فى آخر لقاء بينهما دون جدوى .. سار بسيارته وعلى قدميه باحثاً عنها بين الماره على أمل أن يراها أمامه فجأة كما اختفت فجأة .

وكما تتفجر ينابيع الماء أو البراكين الملتهبة ، وكعادة مشاعر الحب فى مثل تلك الظروف حيث تتحول الى خلايا هلاميه تسرى فى كيان المحب وتسيطر عليه تماما ، ويصبح الحب كالعبء الثقيل الذى يجثم فوق صدره ويؤرق حياته ويحرمه من كل رغباته وإرادته ولا يستبقى له إلا لوعة الحيرة والاشتياق .

كانت عودة سامية لطفى من إجازتها بمثابة طوق النجاة بالنسبة له الذى انتشله من تلك الرحلة القاسية ، وما إن ألتقى بها داخل

المستشفى الذى تعمل به حتى سارع بمبادرتها بلهفة متسائلاً بلا مقدمات:

- أين ريم يا آنسة سامية ؟!

ولم تكن سامية لطفى فى احتياج لأن تستفسر عن سر لهفتة ، لأنها علمت بما حدث منه من خلال حديث ريم معها وكأنها أشفقت علية من الحالة التى وجدتة عليها ..وأجابت بهدوء :

- ريم بخير يا أستاذ أحمد .

حاول أن يسيطر على انفعالاته وهو يقول :

- لقد انقطعت أخبارها عنى .. ولا أعرف السبب فى ذلك .

رمقته بنظرة لوم .. ثم قالت :

- أنت محق حيرتك .. ولكنك .. أقصد دون أن تدرى نهشت فى أعماقها بقسوة ولم يكن أمامها غير قرارها بالابتعاد عنك .. وتحملت وحدها مرارة ذلك القرار .

صمت برهة وكأنه يحاول استيعاب إجابتها .. ثم تساءل بحذر :

- أنا لا أفهمك !! ما السبب وما الحقيقة ؟!

و .. أخبرته بكل شىء

بدا صامتاً ومذعوراً وهو يستمع إلى كلماتها ، التى شعر بأحرفها وكأنها تحولت إلى أسنة رماح مسمومة أو نصل سكين حاد ومدبب ترشق جسده وتمزق كيانه بلا رحمة .

تمتم مشدوها :

ـ أنا لم أقصد الإساءة إليها .. كما أننى لا أعرف أية خلفية عن مستوى حياتها الأسرية .. و ..

قاطعته بهدوء أكثر إثارة :

ـ وما ذنبها فى ذلك ؟!!

تساءل بلهفة :

ـ وأين هى الآن ؟!

أجابت مسرعة :

ـ لا أعرف .. فلقد كان آخر لقاء بيننا منذ شكواها من تصرفك .

نظر إليها بتشكك .. فأردفت قائلة :

ـ صدقنى .. أنا بالفعل لا أعرف أين هى الآن .

و .. هى حقاً لا تعرف مكان ريم فى ذلك الوقت .

كانت ريم قد بدأت رحلة جديدة إلى عالم مختلف تماماً عن واقعها القديم بعد قرارها الأخير الذى اتخذته بشأن علاقتها بعمرو كامل .

سكنت فى لحظة تأمل مع ذكرياتها ، لتجد نفسها وجها لوجه مع مقارنة فرضها الواقع عليها بينها وبين موقف أكرم صدقى بزواجه من المرأة التى تكبره بثلاثين عاماً من أجل تحقيق أحلامه وأهدافه .

هو باع شبابه ليشترى به باقى عمره .. وهى اشترت شيخوختها مقابل إرضاء ضميرها ، واعترافاً بالجميل !!

فكان قرارها بالعمل فى مجال الفن من خلال رغبة الناقد الفنى فتحى العقبى كوسيلة سريعة لتغطية نفقات علاج عمرو كامل الذى كان المرض اللعين يهاجمة بشراسة يوماً بعد يوم حتى أقعده تماماً بلا حول أو قوه وأصبح طريح الفراش لا يملك إلا الامل فى نهاية عذابه بموته السريع .

وكان لموقفها التلقائى غير المتعمد له أكبر الأثر فى نفوس كل من حولها وفى مقدمتهم فتحى العقبى الذى تخلى عن نظرته إليها كأنثى وتعامل معها كإنسانه تنبض بكل معانى الإنسانية كقدوة حقيقية للقيم والمبادئ النبيلة التى توارت عند الكثيرين تحت غبار اللهث وراء المال والشهوات الدنيوية .

تكاتف الجميع حولها وأجمعوا على مساندتها وبدأت أخبارها الفنية تتصدر الصفحات المتخصصة ، وكان لها ما أرادت بأن تكون أول بطولة لها من خلال إحدى روايات عمرو كامل حتى تصبح الاستفادة المادية مزدوجة لصالحة .

كانت سعادة سامية لطفى تفوق كل التوقعات عندما فاجأتها ريم بزيارتها فى مقر عملها بالمستشفى .. وكعادتها المرحة بادرتها قائلة وهى تتلمس كتل اللحم التى تكسو عظامها :

ـ يبدو أن هؤلاء المنتجين قد أصابهم العمى .. ألست أنا الأفضل والأصلح للبطولة فى الأفلام بدلاً منك .. على الاقل "أنا سأملأ الشاشة بقوامى الممتلئ ، أما أنتِ فبسبب نحافتك سوف يراك المشاهد بصعوبة .. و .. وأطلقت ضحكاتها بصوت ارتطم بجدران الغرفة وهى تهتز بشدة فى نشوة من مفاجأة اللقاء .

قالت ريم بهدوء وشجن :

ـ أنا فى أحتياج للحديث معك .. أشعر بالوحدة بالرغم من تودد الجميع لى .

أخذتها إلى غرفة الاستراحة الخاصة بها .. ثم قالت بجدية :

ـ ماذا بك يا حبيبتى .. قولى كل شىء يا ريم .

و .. قالت ما عندها .

كانت الدموع تذرف من عين سامية لطفى بنفس غزارة ضحكاتها بل وصل التأثر بما تسمع إلى درجة النحيب وهى غير قادرة على التماسك أمام تلك الأحداث التى روتها ريم بكل تفاصيلها وكشفت من خلالها أنها لم تكن ترغب أو تتمنى يوماً أن تقتحم مجال التمثيل ، ولكنها قبلت تحت ضغط الظروف القاسية التى مرت بها وأنها تشعر بالحسرة والندم لتخليها مؤقتاً عن حلم عمرها بأن تصبح طبيبة كما كان يأمل أبوها .

وبصعوبة تمتمت سامية بصدق قائلة :

- وهل يستحق عمرو كامل كل هذة التضحيات ؟!

اهتزت ريم من هول المفاجأة ، وكأنها تلقت لطمة قوية على وجهها من هذا السؤال .. وأجابت بلهفة :

- بالتأكيد يستحق ما هو أكثر من ذلك .. إنه نوع من الرجال يضم فى وجدانه مشاعر ملائكية يصعب أن تجديها فى هذا الزمان .. رجل وجد لحياته معنى كلما سعى لإسعاد الأخرين من حوله .. يكفيه أنه احتفظ بالجميل لوالدى ولم يحاول يوماً استثمار اقترابى منه بالرغم من احتياجى الشديد لمساندته لى .. و ..

فاجأتها وهى تقاطعها متسائلة :

- هل وقعتِ فى حبة يا ريم ؟!

صمتت برهة قبل أن تجيبها قائلة :

- أحببته كرمز وقدوة .. وأعتقد أن هذا الحب قد يفوق كثيرا المشاعر الحسية التى تعارف عليها الآخرون .

عادت تتساءل بحذر :

- والزواج !!

- للأسف .. لم يمهلة المرض لإتمام زواجنا .. وقد تعمدت إخفاء هذه الحقيقة حتى أتمكن من استمرارى بجوارة .

- وأين أبناؤه ؟!

- هم لا ينتمون إليه إلا بارتباطهم باسمه فقط .. أمثال هؤلاء موجودون بكثرة بيننا ولكننا نتعلل بأكذوبة ساذجة بأن ذلك هو حال تلك المرحلة .

وكأن مشاعر البنوة والأبوة أصبحت تتلون حسب تطور المدينة.

وعلى غير المتوقع رددت سامية لطفى قائلة :

- مسكين أحمد فهمى !!

رمقتها بنظرة مندهشة .. بينما استطردت سامية قائلة :

ـ نعم مسكين بحق .. الغموض يعذبه .. ولو علم بتلك الأحداث وبهذه الحقائق لربما هدأت مشاعره المضطربة .. فأنتِ لا تتصورين يا ريم قدر المعاناة التى يعانيها بسبب اختفائك عنه .

همست وكأنها تتحدث مع نفسها :

ـ من الصعب التصدى لأحكام القدر .

لاحقتها وهى تقول بحب :

ـ ولكن من الظلم أن نقسو على أنفسنا .. الوضوح فى مثل تلك الامور قد يخفف من وطأة الأحزان .. و ..معرفة السبب يبطل العجب !!

تساءلت باهتمام :

ـ ماذا تقصدين ؟!

ـ يجب أن تخبريه بالحقيقة .. وهو من حقه أن يعرفها .. أليست كذلك ؟!

اشارت برأسها وهى تقول :

ـ أنا حائرة .. ولا أعرف ما الذى يجب أن أفعله .. فكل ما يشغلنى الآن هو حياة عمرو كامل ومساندته فى محنته تلك .

فاجأتها مرة ثانية وقالت :

ـ وحياتك أنت .. ألم تفكرى فى نفسك لحظة .. فلابد أن تصارحيه بالحقيقة .. هل تشعرين بأية عاطفة تجاه أحمد فهمى أم لا ؟!

ابتلعت ريقها وكأنها تبتلع الحقيقة قبل أن تطفو على سطح حوارهما ثم نهضت فجأه وهى تردد :

ـ يبدو أن كل من هم فى مثل ظروفى لا يحق لهم أن يفكروا فى أنفسهم .. وكأن أقدارهم أوصيته عليهم وعلى حياتهم .

وقفت هى الأخرى وقالت بجدية :

ـ أتتهربين من الإجابة ؟!

قالت وهى تتأهب للإنصراف :

ـ ليتنى أستطيع الهروب من أمور كثيرة .. فالقدر يعيش فى وجدانى فكيف سأهرب من نفسى ؟!!

و .. انصرفت من أمامها فجأة كما ظهرت إليها فجأة .

## ١٠

لحظة غروب قاتمة .. كانت الشمس تلملم سواعدها الذهبية بتثاقل وبطء شديد ، وكأنها لا ترغب فى الرحيل.

دخلت ريم إلى غرفة عمرو كامل المستلقى على فراشه فى استسلام تام وفى عينيه نظرة ما بين اليقظة والإعياء .

سألته وهى تستعين بابتسامة باهتة فوق شفتيها :

- كيف حال أديبنا العبقرى الآن ؟!!

التفت إليها بصعوبه وقال بهمس :

- إشفاقى وقلقى عليك يفوق إحساس الألم.

جلست على طرف الفراش وقالت بمرح:

- أتشفق على فنانة كبيرة مثلى تستعد لاستقبال بشائر النجومية!!!

قال بنبرة حزينة:

- أشعر بالذنب لأننى كنت السبب فى حرمانك من تحقيق حلمك وحلم والدك .. لقد قهرنى المرض ولم أعد فى استطاعتى شيئاً.

ترقرق بريق الدمع فى عينيها قبل أن تقول :

ـ لا تقل هذا .. فأنت بالنسبة لى أعظم من أى حلم وأغلى من كل طموح .. وكل ما أتمناه الآن أن أراك سليما ومعافى

ارتعشت شفتاه وهو يجيبها قائلا :

ـ وها هى أمنيه أخرى تنهار بسببى أيضا .. فأنا لا أملك أن أحققها لك ..و ..

ازدرد ريقه بصعوبة .. ثم أردف :

ـ إننى أكاد أشتم رائحة الموت وهو يحوم حولى .

لم يعد فى استطاعتها التصدى لمدامعها فتركتها مضطرة لكى تنساب فوق وجنتيها وهى مسلوبة الارادة .

فبادرها وهو يحاول أن يلامس يدها :

ـ أرجوك لا تبكى يا ريم .. لا تحزنى يا غالية .. فالفراق بالموت فى بعض الأحيان يكون رحمة للآخرين .. والخلاص من قهر العذاب .

اقتربت وهى تضمه إلى صدرها لأول مرة منذ عرفته .. ورددت بنبرات كالنحيب :

- يجب أن تقاوم من أجلى .. ومن أجل كل قرائك .. فأنت ..

قاطعها بحنان وهو يتلمس خصلات شعرها :

- انتِ أجمل رواية لم أكتبها فى حياتى .. ولن يمهلنى القدر أن أفعل ذلك .. فأكمليها أنت على أرض الواقع .. وحققى لى آخر أمنية فى عمرى .

بكت بصوت عال .. فرفع رأسها بكف يده الواهنة .. وقال وهو يحاول الابتسام :

- ابنتى ريم التى أعرفها جيدا .. لم تكن تبكيها الأزمات .. لا تدعينى أرى دموعك .. فأنت أقوى بكثير من لحظات الضعف .

قالت من خلال نحيبها :

- ليتنى أرحل عن الحياة .. قبل أن أواجه لحظة فراقك .

أجاب من خلال حشرجة أنفاسه :

- يكفينى أن ذكراى ستعيش فى وجدانك ، كما عاشت ذكرى والدك فى كيانى .

عادت تحتضنه مرة ثانية ، ودون أن تدرى رددت قائلة بلا وعى :

- أرجوك لا ترحل يا أبى .. أرجوك لا تتركنى وحيدة !!

ولكن .. صدى توسلاتها ذاب فجأة وسط فراغ اللاوجود .

مات عمرو كامل وهو يحتضنها على أمل أن تظل بين ذراعيه إلى ما بعد الحياة

المفاجأة بدت أعظم من قدرة اللحظة الزمنية ، فأنفجرت إلى الإحساس بالعدم بالنسبة لريم .. وكأن الحياة قد اختصرت إلى صورة فوتوغرافيه مليئه بالبشر والاشياء ولكنها جماد بلا حياه .. كل شيء تجمد بداخلها وحولها حتى ملامح الآخرين .

الخبر تناقلته وكالات الأنباء ، وتلقفه الإعلام المقروء والمرئى

**وفاة الروائى الكبير عمرو كامل.

**الأديب عمرو كامل يرحل عن الحياة بعد معاناة كبيره مع المرض .

**فقدت الساحة الادبية أحد كبار كتاب الرواية عمرو كامل.

و .. كان القدر رحيما بالجميع عندما ظهر أحد أقرباء عمرو كامل الذين ينتمون لأسرته بالاسم فقط وأدلهم على مدافن الأسرة حتى يتمكنوا من وداعه الاخير بها .

وقفت ريم أمام المقبرة وكل كيانها يرتجف من شدة وقسوة البكاء المكتوم ، وقد غابت الرؤية عن عينيها بعدما احتلت مدامعها مقلتيها ، والجميع يصطفون خلفها ولم يستطع أحد منهم الاقتراب منها بسبب حالة الغموض التى سيطرت على عقولهم والحيرة التى تملكتهم من تباين موقفها .. فهم لا يدرون إن كان بكاؤها على الزوج او الأب أو الجار أو الصديق .. أو على ذكرياتها .

حتى هى لم تكن تعلم مصدر الشجن الحقيقى بداخلها .. هى تبكى فقط على فراق أغلى ما لديها .. قطعة من جسد أبيها وكيان آخر توارى تحت التراب .

لحظة أعادت إلى وجدانها ذكرى فقدانها لأبيها عم فريد الذى اختطفه الموت من أحضانها تماما كما أعاد الكرة مرة ثانية معها وهى فى أحضان عمرو كامل .

ارتدت الليالى وشاح الحزن الأسود وهى تمضى بتثاقل فى حياة ريم فريد ، تحجرت الطموحات فى وجدانها وأصبحت أحلامها بلا هوية، كان احساسها بالفراغ يطبق على صدرها

إلى حد الاختناق .. فلا أصدقاء ولا أشقاء ولا أقرباء .. الجميع تعمد عدم الاقتراب منها مراعاة لمشاعرها ولقدر الكارثة التى أصابتها .

تركوها لوحدتها ولذكرياتها ، وهم لا يدرون بأنهم يتركونها فريسة بريئة لشياطين الهواجس المفزعة التى صدّرت اليها مشاعر الخوف والقهر والاحباط .. الخوف من مستقبلها قبل حاضرها ، وقهرها أمام واقعها العنيد ، وإحباطاتها المتتالية إزاء كل بارقة امل كانت ترفرف على مشارف مستقبلها .

شعرت بالغثيان والمرارة والقرف ، وهى تستلم ثلاث برقيات من موظف البريد مرسلة من أبناء عمرو كامل تمثل حالة صارخة ومؤلمة لعقوق بعض الأبناء ،حيث أرسل كل منهم برقية عزاء للآخر لوفاة والدهم حيث يعتقد كل منهم أن الآخر لا يزال يقيم مع أبيه وبالتالى فهو يتقبل العزاء بديلا عن المرسل نفسه .. لقد ابتلعتهم الغربة والتهمت إحساسهم بالانتماء لوطنهم قبل أبيهم ، لتظل المقايضة ما بين المال ومشاعر الانتماء هى أسوأ وأبشع تجارة تمت وتتم فى تاريخ الانسانية بعدما علموا بنبأ وفاة والدهم من خلال الإنترنت وكأنها هى وسيلة التراحم المستحدثة فى ذلك الزمان الغادر.

أسقطت البرقيات من يدها إلى الأرض ، وكأنها تخشى على أناملها من أن تلوثها معانيها المرسلة فيها وبتلقائية وضعتها فى الموقع الذى يناسبها .. تحت الأقدام .

كانت عقارب الساعة قد اقتربت من منتصف النهار ، عندما ترامى الى مسامعها رنين جرس الباب .. لتجد نفسها فى مواجهة مفاجأة لم تكن تتوقع حدوثها حتى فى لحظات غيبوبة اليقظة .

أحمد فهمى يقف امامها .. تسمرت أحرف الكلمات فوق شفتيها ومضت لحظات صمت بينهما وكأنها تستعيد من ذاكرتها كيفية التصرف إزاء ذلك الموقف أو ما هو المفترض أن يكون فى هذا الشأن .

وبنبرة مضطربة وحذرة ردد عدة كلمات متعارف عليها للعزاء ، وفى أثناء ذلك أفسحت له الطريق وهى على حالة الصمت التى عليها وأجلسته أمامها قبل أن تقول بصعوبة :

- أهلا بك .

قال وكأنه ينفى عن نفسه تهمة التهور بالحضور إليها :

- آنسة سامية أخبرتنى بكل شئ .. و .. ايضا بعنوانك هنا وأنا لم أكن ...

قاطعته بهدوء بعدما استعادت اتزانها قليلا :

ـ أنت لست فى حاجة لأى مبرر .. وأهلا بك فى كل وقت .

كلماتها منحته بعض الثقة قبل أن يقول معاتبا بحذر :

ـ لماذا لم تخبرينى بحقيقة مشاكلك ؟!

أجابت بحزم:

ـ كل إنسان لديه ما يكفيه من همومه .

ـ وما الفرق بيننا .. فإحساسى بك بأننا كيان واحد .

رمقته بنظرة سريعة ، وكأنها تتجنب أن تلتقى بنظرته لكى لا تكشف عن ضعفها تجاهه .. وظلت على صمتها .. فبادرها قائلاً:

ـ أقسم لك بأننى لم أقصد إيذاء مشاعرك .. فأنا كنت فى لحظة غضب لم أجد لها تفسيرا حتى الآن .. ربما تصورت أن العاملين فى الجراج تعمدوا أن يفعلوا فعلتهم معى.. وأنا..

عادت تستوقفه وهى تقول بصدق :

- صدقنى أنت لست المسؤل عما حدث .. فالمشكلة كانت عندى ويبدو أننى لم أستطع التخلص من معاناتها فى أعماقى.

لاحقها قائلا :

- الحقيقة أنه كان يجب أن تفتخرى بها .. لا أن تعانى منها .. فأنت ابنة رجل يتمناه كل ابن فى الوجود .. لقد ظلمتِ نفسك وظلمتنى معك بلا منطق أو أساس .

عادت مسحة الحزن تفترش أسارير وجهها .. وقالت بهدوء:

- أشعر بالقدر يترصدنى وكأنه يتربص بى .. إنه يعيش فى وجدانى ، وأصبحت لا أملك حرية الاختيار .

أسرع يقول :

- إن كان الأمر كذلك .. فأنا أتوسل لقدرك أن يجعلك على طريقى إلى الابد .

- فى الحقيقة أنا لم أعد ....

أصر على مقاطعة حديثها .. وأردف قائلا :

- مكانك ليس هنا يا ريم .. منزلك فى انتظارك .. لقد أعددت كل شىء فيه لاستقبالك.

قالت بنبرة حائرة :

ـ وفاة الأستاذ عمرو كامل ، جعلتنى أشعر وكأننى أسير على حافة هاوية ليس لها قرار .. هذا الرجل العظيم هو أيضا تحمل ما لا يستطيع أحد تحمله من دناءة الجحود وشراسة المرض .

أجاب مسرعا :

ـ أنا أعلم أنك مرتبطة بعقود واتفاقيات مادية ..ولكنك لست مسئولة عنها منذ هذه اللحظه .. فسأتولى تسديدها فورا.. و..

صمت برهه ازدرد فيها ريقه مرة ثانية، وكأنه يمنحها فرصة التفكير للحظات

ثم عاد مستطردا :

ـ إلا إذا كنتِ ترغبين مواصلة رحلتك الفنية .. فأنا بجانبك فى كل الحالات .

نظرت إليه بعينين استقرت فيهما كل مشاعرها المتدفقة نحوه .. ثم همست :

ـ أنا أريد ان أعيش الحقيقة .. لا التمثيل .

أجاب ببهجة صادقة :

ـ الحقيقة مشروطة بشرط واحد .. وهو أمل لا تحرمينى من تحقيقه .

تساءلت بدهشة أقرب إلى التوجس:

ـ ما هو الشرط ؟!!

قال بحب واضح :

ـ أن تأخذينى إلى مقبرة أبيك عم فريد .. لأقسم أمامه أننا سوف نحقق حلمه معا خلال العام القادم .. وتصبحين الدكتورة ريم كما أراد .

ترقرقت دموع الفرح فى مقلتيها وهى تنهض قائلة :

ـ عشت طوال حياتى مؤمنة بأن الحب الحقيقى موجود فى مكان ما .. وإننى سوف ألتقى به يوماً .. وها أنت أمامى اليوم .

وقف مردداً بسعادة بالغة :

ـ لقد طال انتظارى لك يا غالية .

تأبطت ذراعه واتجها نحو الباب منصرفين .. تاركين وراءهما ذكريات قد لا تموت .. ولكنها حتماً لن تعود .

**تمت**

# الإصدارات الروائية للأديب أحمد فريد

***************

| | | |
|---|---|---|
| همسة وداع | نشرت فى ليبيا | 1972 |
| الشك | نشرت فى ليبيا | 1973 |
| خطوات بلا طريق | نشرت فى ليبيا | 1975 |
| نبضات لا تموت | مطبعة النهضة بالقاهرة | 1976 |
| الحب وحده لا يكفى | دار غريب بالقاهرة | 1980 |
| ممر الذئاب - ثلاثة أجزاء | فترة التفرغ | |
| دعنى أحاول | دار غريب بالقاهرة | 1982 |
| عندما يبكى الرجال | دار غريب بالقاهرة | 1983 |
| لا تدمرنى معك | دار غريب بالقاهرة | 1984 |
| يا صديقى كم تساوى | دار غريب بالقاهرة | 1985 |
| لن تسرق حبى | دار غريب بالقاهرة | 1987 |
| سامحنى يا حب | دار غريب بالقاهرة | 1990 |
| الحب الكبير - ثلاثة أجزاء | فترة التفرغ | |
| هو منتهى الحب | دار قباء بالقاهرة | 1994 |
| عمر عمرى | دار قباء بالقاهرة | 2001 |
| كذبت عليك فصدقتنى | دار قباء بالقاهرة | 2002 |
| يا أنا لا ترحل عنى | دار قباء بالقاهرة | 2004 |
| حب بلا مأوى | دار قباء بالقاهرة | 2005 |
| الحب بعد المساومة | دار قباء بالقاهرة | 2006 |
| لآلىء الوحل | دار قباء بالقاهرة | 2007 |
| من يشترى عمرى | دار قباء بالقاهرة | 2008 |
| لا تعاقبنى يا حب | الدار المصرية السعودية | 2010 |
| مشاعر مفترسة | دار قباء الحديثة | 2011 |

- دار قباء أعادت طبع جميع الأعمال الروائية .

- حصل على جائزة مهرجان القاهرة السينمائى عام ١٩٨٢ عن أحسن قصة لفيلم " الحب وحده .. لا يكفى " إخراج على عبد الخالق .

- ترجمة رواية " الحب .. وحده .. لا يكفى " ورواية " عندما يبكى .. الرجال " إلى اللغة الصينية .

- تمت ترجمة رواية " هو منتهى الحب " إلى الإنجليزية .

- صدرت الطبعة الثالثة من رواية " هو منتهى الحب " فى كتاب الجمهورية

● الأعمال التى تحولت إلى أفلام سينمائية :

- " الحب وحده .. لا يكفى " .. إخراج على عبد الخالق - سيناريو وحوار " مصطفى محرم "

- " عندما يبكى .. الرجال " .. إخراج حسام الدين مصطفى .. سيناريو " مصطفى محرم " وحوار " بهجت قمر " .

- لا تدمرنى معك " إخراج محمد عبد العزيز .. سيناريو وحوار " أحمد صالح " .

- " يا صديقى كم تساوى " .. إخراج يوسف فرنسيس .. سيناريو وحوار " يوسف فرنسيس " .

- عضو إتحاد الكتاب منذ بدايته .

- عضو نادى القصة .

- عضو الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما .

- عضو رابطة الأدب الحديث .